تفسير سورة فاطر

قال الله تعالى:

﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُو۟لِىٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۚ يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٣﴾ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٤﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿٥﴾ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٦﴾ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿٧﴾ أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًا ۖ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۖ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٨﴾ وَٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ ﴿٩﴾ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا ۚ إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ ۚ وَٱلَّذِينَ يَمْكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۖ وَمَكْرُ أُو۟لَٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ ﴿١٠﴾ وَٱللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَٰجًا ۚ وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ ۚ وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١١﴾﴾ [فاطر: ١-١١].

Asrarabw.com

س: اذكر معنى ما يلي:

﴿فَاطِرِ -رَّحْمَةٍ -يُمْسِكْ -مُرْسِلَ -فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ -تَغُرَّنَّكُمُ -ٱلْغَرُورُ -حِزْبَهُۥ -ٱلسَّعِيرِ -زُيِّنَ لَهُۥ -سُوٓءُ عَمَلِهِۦ -حَسَرَٰتٍ -فَتُثِيرُ -بَلَدٍ مَّيِّتٍ -ٱلنُّشُورُ -ٱلْعِزَّةَ -يَمْكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ -يَبُورُ -وَمَا يُعَمَّرُ -مُّعَمَّرٍ﴾.

ج:

الكلمة	معناها
﴿فَاطِرِ﴾	خالق (على غير مثالٍ سابق)
﴿رَّحْمَةٍ﴾	خير – نعمة
﴿يُمْسِكْ﴾	يمنع – يُغلق
﴿مُرْسِلَ﴾	باسط – مُنعم – مُسدي
﴿فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ﴾	من أي وجه تنصرفون عن الحق إلى الباطل
﴿تَغُرَّنَّكُمُ﴾	تخدعنكم
﴿ٱلْغَرُورُ﴾	الشيطان
﴿حِزْبَهُۥ﴾	جماعته وجنوده
﴿ٱلسَّعِيرِ﴾	النار المستعرة
﴿زُيِّنَ لَهُۥ﴾	حُسِّن له
﴿سُوٓءُ عَمَلِهِۦ﴾	عمله السيئ
﴿حَسَرَٰتٍ﴾	أحزان – تحسرات وتندمت

MOSTAFALAWY.COM

﴿فَتُثِيرُ﴾	فتهيج – فتحرك
﴿بَلَدٍ مَّيِّتٍ﴾	أرض ليس فيها زرع ولا نبات
﴿ٱلنُّشُورُ﴾	الخروج من القبور
﴿ٱلْعِزَّةَ﴾	الغلبة – التعزز – القوة
﴿يَمْكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾	يفعلون السيئات والمراد هنا الشرك
﴿يَبُورُ﴾	يبطل ويذهب ثوابه
﴿وَمَا يُعَمَّرُ﴾	ما يطول من عمره
﴿مُّعَمَّرٍ﴾	طويل العمر – عمره طويل

❁ ❁ ❁

س: ما مدى صحة الأثر الذي ذكره ابن كثير عن ابن عباس قال: كنت لا أدري ما فاطر السموات والأرض حتى أتى أعرابيان يختصمان في بئر فقال أحدهما: أنا فطرتها، أنا بدأتها؟

ج: أخرجه أبو عبيد في غريب الحديث، والبيهقي في شعب الإيمان[1]، من طريق إبراهيم بن المهاجر عن مجاهد عن ابن عباس، وإبراهيم فيه مقال.

❁ ❁ ❁

شيءٌ من ذكر الملائكة عليهم السلام

س: قوله تعالى: ﴿جَاعِلِ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ رُسُلًا﴾ إلى من؟

ج: إلى من يشاء من خلقه، وبالذي يُريد من أمره.

---

(١) غريب الحديث (٣٧٣/٤)، والبيهقي في الشعب (٢١١/٣، ٢١٢).

MOSTAFAALDOW.COM

* فالملائكة رسلٌ إلى الأنبياء والمرسلين من البشر يوحون إليهم ما يشؤه الله.

قال تعالى: ﴿أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ﴾ [الشورى: ٥١].

* وكذا فمن الملائكة رسلٌ لقبض الأرواح عند استيفاء الآجال، كما قال تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴿٦١﴾﴾ [الأنعام: ٦١].

* وكذا فالملائكة رسل لكتابة الأعمال قال تعالى: ﴿بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴿٨٠﴾﴾ [الزخرف: ٨٠].

* كذا ويرسلون لتبشير أقوام ولإهلاك آخرين قال تعالى في شأن الملائكة مع إبراهيم عليه السلام: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ ﴿٢٥﴾ فَرَاغَ إِلَىٰ أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٢٧﴾ فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ ﴿٢٨﴾﴾ [الذاريات: ٢٤-٢٨].

* وكذا قالت الملائكة لإبراهيم عليه السلام: ﴿إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٠﴾﴾ [هود: ٧٠].

* وأحيانًا يرسلون لاختبار العباد كما في حديث الأبرص والأقرع والأعمى[(١)]. فقد أرسل إليهم ملك لاختبارهم.

* وترسل لشهود الصلوات وحضور الجُمع والجماعات خاصة صلاة الفجر والعصر في جماعة[(٢)]، وكذا تؤمن على تأمين المصلين مع الإمام.

وترسل أحيانًا للقتال مع أهل الإيمان ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ

(١) البخاري (٣٤٦٤)، ومسلم (٢٩٦٤).

(٢) انظر البخاري (٧٨٠)، ومسلم (٤١٠).

MostafaAdw.com

فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ سَأُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ فَٱضْرِبُوا۟ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ وَٱضْرِبُوا۟ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴿١٢﴾ ﴾ [الأنفال: ١٢].

وقال تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّى مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴿٩﴾ ﴾ [الأنفال: ٩].

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا ﴾ إلى من يشاء من عباده وفيما شاء من أمره.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُو۟لِىٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۚ يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ ۚ ﴾.

ج: المعنى – والله أعلم – أن الله عَزَّوَجَلَّ خلق الملائكة منهم من له جناحان، ومنهم من له ثلاثة أجنحة، ومنهم من له أربع، ومنهم من له أكثر من ذلك.

فقوله تعالى: ﴿يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ ۚ ﴾ يرى جمهور العلماء أن المراد هنا زيادة عدد الأجنحة لمن يشاء من الملائكة وبالعدد الذي يشاؤه الله، وإن كان من أهل العلم من ذهب إلى أن قوله تعالى: ﴿يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ ۚ ﴾ أعم من أن يكون متعلقًا بأجنحة الملائكة، فأدخل في ذلك حسن الصوت وصباحة الوجه، وملاحة الشخص، واتساع العين إلى غير ذلك، فالله أعلم.

❁ ❁ ❁

س: اذكر بعض الوارد في أجنحة الملائكة.

ج: من ذلك أن جبريل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ له ستمائة جناح؛ فقد قال عبد الله بن مسعود في قوله تعالى: ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴿٩﴾ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ﴾ [النجم: ٩، ١٠]،

MOSTAFAADEL.COM

أنه محمد ﷺ رأى جبريل له ستمائة جناح[(١)].

وفي الحديث الآخر: طوبى للشام إن ملائكة الرحمن باسطة أجنحتها عليه[(٢)].

وفي حديث صفوان بن عسال المرادي أن النبي ﷺ قال: ما من خارج يخرج من بيته في طلب العلم إلا وضعت له الملائكة أجنحتها رضًا بما يصنع[(٣)].

وعيسى عليه السلام سينزل واضعًا كفيه على أجنحة ملكين ثبت الخبر بذلك عند مسلم[(٤)].

والأدلة في هذا الباب كثيرة، والله أعلم.

❁ ❁ ❁

س: وضح المعنى الإجمالي للآية الكريمة: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُو۟لِىٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۚ يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾﴾.

ج: يحمد ربنا ﷻ نفسه فهو أهلٌ؛ لأن يُحمد، وكذا يحثنا ربنا ﷻ على حمده، فالحمد لله والشكر الكامل كل الشكر لله ﷻ خالق السموات والأرض على غير مثالٍ سابق، لم يكن له شريك في خلقهما هو سبحانه الذي خلق الملائكة وجعلهم رسلًا إلى خلقه بما يريد، فمنهم رسلٌ بالوحي إلى الأنبياء

---

(١) البخاري (٤٨٥٧)، ومسلم (١٧٤)، وانظر مسند أحمد (٤١٢/١).

(٢) أحمد (١٨٥/٥) بسندٍ صحيح.

(٣) صحيح لغيره، وقد أخرجه عبد الرزاق (٢٣٩/٤)، وله شاهد من حديث أبي الدرداء عند أبي داود (٣٦٤٢).

(٤) مسلم (٢٩٣٧).

والمرسلين، ومنهم بغير ذلك، قد جعل الملائكة متفاوتين في الخلق فمنهم من له جناحان، ومنهم من له ثلاثة أجنحة ومنهم من له أربع ومنهم من له أكثر من ذلك فهو يخلق ما يشاء، ويزيد للملائكة ما يشاء من الأجنحة إنه على كل شيء قدير. قدير على فعل أي شيء، وعلى إمضاء أي شيء يريده، وعلى خلق أي شيء، فهو ذو قدرة على كل شيء، وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: الشكر الكامل للمعبود الذي لا تصلح العبادة إلا له، ولا ينبغي أن تكون لغيره خالق السماوات السبع والأرض، ﴿جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا﴾ إلى من يشاء من عباده، وفيما شاء من أمره ونهيه ﴿أُولِي أَجْنِحَةٍ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ﴾ يقول: أصحاب أجنحة يعني ملائكة، فمنهم من له اثنان من الأجنحة، ومنهم من له ثلاثة أجنحة، ومنهم من له أربعة.

وأورد الطبري بإسنادٍ حسن عن قتادة: ﴿أُولِي أَجْنِحَةٍ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ﴾ قال: بعضهم له جناحان وبعضهم ثلاثة وبعضهم أربعة.

وقال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقوله: ﴿يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ﴾ وذلك زيادته تبارك وتعالى في خلق هذا الملك من الأجنحة على الآخر ما يشاء، ونقصانه عن الآخر ما أحب، وكذلك ذلك في جميع خلقه يزيد ما يشاء في خلق ما شاء منه، وينقص ما شاء من خلق ما شاء، له الخلق والأمر وله القدرة والسلطان ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ يقول: إن الله تعالى ذكره قدير على زيادة ما شاء من ذلك فيما شاء، ونقصان ما شاء منه ممن شاء، وغير ذلك من الأشياء كلها، لا يمتنع عليه فعل شيء أراده

MOSTAFA ADLY.COM

سبحانه وتعالى.

❁ ❁ ❁

س: اذكر بعض الآيات والأحاديث في معنى قوله تعالى: ﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢﴾﴾.

ج: من الآيات في معناها:

قوله تعالى: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٧﴾﴾ [يونس: ١٠٧].

وقوله تعالى: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾﴾ [الأنعام: ١٧].

ومن الأحاديث قوله ﷺ في أدعيته دبر الصلاة وبعد الركوع: «**اللَّهُمَّ لَا مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ وَلَا مُعْطِيَ لِمَا مَنَعْتَ وَلَا يَنْفَعُ ذَا الْجَدِّ مِنْكَ الْجَدُّ**»(١).

وفي الحديث كذلك: «**وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوْ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ لَكَ، وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ عَلَيْكَ**»(٢).

❁ ❁ ❁

س: ما المراد بالرحمة في قوله تعالى: ﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ﴾؟

ج: المراد – والله أعلم – أي نوعٍ من أنواع الخير وأي نعمة من النعم

---

(١) كان يقول ذلك ﷺ بعد الرفع من الركوع، وكذا بعد الانصراف من الصلاة انظر البخاري (٨٤٤، ٦٣٣٠..)، ومسلم (٤٧٧).

(٢) **صحيح:** أخرجه الترمذي (٢٥١٦)، وأحمد (٤٠٩/٤) وغيرهما.

MOSTAFABDW.COM

فخزائن كل شيء عند الله ﷻ قال تعالى: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢١﴾﴾ [الحجر: ٢١].

فتشمل الرحمة الغيث النازل من السماء يرحم الله به العباد وتشمل الرزق الواسع، والعلم النافع، والمال والبنين، والصحة والعافية والمنصب والجاه وعموم الخير.

قال القرطبي رحمه الله (بعد أن ذكر صورًا في تفسير الرحمة):

ولفظ الرحمة يجمع ذلك، إذ هي منكرةٌ للإشاعة والإبهام، فهي متناولة لكل رحمة على البدل، فهو عام في جميع ما ذكر.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى الآية الكريمة: ﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢﴾﴾.

ج: المعنى –والله أعلم– ما يفتح الله ﷻ شيئًا من أبواب رحمته ومن خزائنه كي يكرم عبدًا من العباد بشيء، أي شيء كان فلا يستطيع أحدٌ منع ذلك ولا إمساك ذلك، وما يمنع الله ﷻ من شيء عن أي شخص كان فلن يستطيع أحدٌ إيصال هذا الخير لهذا الشخص.

وقوله: ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ العزيز غالبٌ على أمره يفعل ما يريده سبحانه وتعالى، ويقضي بما يشاء، حكيم في كل شيء يصنعه، في كل عطاء يعطي، وفي كل منع يمنع حكيم في كل ذلك، وفي غير ذلك.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: مفاتيح الخير ومغالقه كلها بيده؛ فما يفتح الله للناس من خير فلا مُغلق له، ولا ممسك عنهم، لأن ذلك أمره لا يستطيع أمره أحد،

Mostafalaw.com

وكذلك ما يغلق من خير عنهم فلا يبسطه عليهم ولا يفتحه لهم، فلا فاتح له سواه؛ لأن الأمور كلها إليه وله.

وأورد الطبري بإسناد حسن عن قتادة: ﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ﴾ أي: من خير ﴿فَلَا مُمْسِكَ لَهَا﴾ فلا يستطيع أحد حبسها ﴿وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾ وقال تعالى ذكره: ﴿فَلَا مُمْسِكَ لَهَا﴾ فأنث ما لذكر الرحمة من بعده وقال: ﴿وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾ فذكر للفظ «ما» لأن لفظه لفظ مذكر، ولو أنث في موضع التذكير للمعنى وذكر في موضع التأنيث للفظ، جاز، ولكن الأفصح من الكلام التأنيث إذا ظهر بعد ما يدل على تأنيثها والتذكير إذا لم يظهر ذلك.

وقوله: ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ يقول: وهو العزيز في نِقمته ممن انتقم منه من خلقه بحبس رحمته عنه وخيراته، الحكيم في تدبير خلقه وفتحه لهم الرحمة إذا كان فتح ذلك صلاحًا، وإمساكه إياه عنهم إذا كان إمساكه حكمة.

❁ ❁ ❁

س: ما المراد بذكر النعمة في قوله تعالى: ﴿ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾؟

ج: لأهل العلم قولان، وكلاهما صحيح إلا أن أولهما أقوى في هذا المقام، وهو:

* أن المراد بذكر نعمة الله، عدم نسيانها ومن ثَمَّ العمل بمقتضى هذا الإنعام، من تقديم شكر لله ﷻ عليها وإفراده وحده بالعبادة؛ إذ هو مُسدي النعم وواهبها ومعطيها.

الثاني: أن المراد التحديث بنعم الله كما قال تعالى: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾

MOSTAFAADAWY.COM

[الضحى: ١١].

❁ ❁ ❁

س: لماذا ذكر نعمة الخلق دون غيرها من النعم؟

ج: ذلك – والله أعلم – لأن أهل الشرك كانوا يقرون بأن الله ﷻ هو خالقهم فخوطبوا بما أقروا به، قال تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ [الزخرف: ٨٧].

وكذا كانوا يقرون بأنه الذي يرزقهم قال تعالى: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾﴾ [يونس: ٣١].

❁ ❁ ❁

س: وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٣﴾﴾.

ج: هذا – والله أعلم – مفاده أن الله ﷻ ينادي خلقه ويأمرهم أن يذكروا نعمه عليهم فما هم فيه من نعمةٍ فإنما هي من الله ﷻ، فليعملوا لذلك وليقدموا له شكرًا متمثلًا في توحيده وحمده والعمل بشرائعه والنهي عن ما نهى عنه، وكذا لا يجحدونها بين خلق الله، فالله هو الوهاب، وليس من خالق خلقنا غيره، ولا من رازق رزقنا غيره، لا إله إلا هو فمن أي وجهٍ ينصرف العباد عن عبادته إلى عبادة غيره.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره للمشركين به من قوم رسول الله ﷺ من قريش: ﴿يَٰٓأَيُّهَا

﴿ٱلنَّاسُ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ﴾ التي أنعمها ﴿عَلَيْكُمْ﴾ بفتحه لكم من خيراته ما فتح وبسطه لكم من العيش ما بسط وفكروا فانظروا هل من خالق سوى فاطر السماوات والأرض الذي بيده مفاتيح أرزاقكم ومغالقها ﴿يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ فتعبدوه دونه ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ يقول: لا معبود تنبغي له العبادة إلا الذي فطر السماوات والأرض القادر على كل شيء، الذي بيده مفاتح الأشياء وخزائنها، ومغالق ذلك كله، فلا تعبدوا أيها الناس شيئًا سواه، فإنه لا يقدر على نفعكم وضركم سواه، فله فأخلصوا العبادة وإياه فأفردوا بالألوهة ﴿فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ﴾ يقول: فأي وجه عن خالقكم ورازقكم الذي بيده نفعكم وضركم تصرفون.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ينبه تعالى عباده ويرشدهم إلى الاستدلال على توحيده في إفراد العبادة له، كما أنه المستقل بالخلق والرزق فكذلك فليفرد بالعبادة، ولا يشرك به غيره من الأصنام والأنداد والأوثان؛ ولهذا قال: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ﴾، أي: فكيف تؤفكون بعد هذا البيان، ووضوح هذا البرهان، وأنتم بعد هذا تعبدون الأنداد والأوثان؟

❁ ❁ ❁

س: ما المستفاد من إخبار الله ﷻ نبيَّه محمدًا ﷺ بأن الرسل الذين قبله قد كذِّبوا؟

ج: ذلك –والله أعلم– لمواساته وتصبيره وتثبيته وتعزيته، حتى يصبر كما

Mostafa Adwy.com

صبروا ويتأسى بالمرسلين قبله، كما قال تعالى: ﴿فَٱصۡبِرۡ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلۡعَزۡمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾ [الأحقاف: ٣٥]، وكما قال: ﴿وَكُلّٗا نَّقُصُّ عَلَيۡكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَۚ﴾ [هود: ١٢٠].

وقد أورد الطبري بإسنادٍ حسن عن قتادة: ﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدۡ كُذِّبَتۡ رُسُلٞ مِّن قَبۡلِكَۚ﴾ يعزِّي نبيه ﷺ كما تسمعون.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدۡ كُذِّبَتۡ رُسُلٞ مِّن قَبۡلِكَۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ ٤﴾؟

ج: المعنى – والله أعلم – وإن يكذبك هؤلاء المشركون فلا تجزع ولا تحزن، فقد كذَّب إخوانك المرسلون وإلى الله مرجع هؤلاء المكذبين ومرجعكم جميعًا فأجازي المحسن بإحسانه وبالحسنى والمسيء بما عمل.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: وإن يكذبك يا محمد هؤلاء المشركون بالله من قومك فلا يحزننك ذاك، ولا يعظم عليك، فإن ذلك سنة أمثالهم من كفرة الأمم بالله، من قبلهم وتكذيبهم رسل الله التي أرسلها إليهم من قبلك، ولن يعدو مشركو قومك أن يكونوا مثلهم، فيتبعوا في تكذيبك منهاجهم ويسلكوا سبيلهم ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ﴾ يقول تعالى ذكره: وإلى الله مرجع أمرك وأمرهم، فمُحِل بهم العقوبة، إن هم لم ينيبوا إلى طاعتنا في اتباعك والإقرار بنبوتك، وقبول ما دعوتهم إليه من النصيحة، نظير ما أحللنا بنظرائهم

MOSTAFAALAWY.COM

من الأمم المكذبة رسلها قبلك، ومنجيك وأتباعك من ذلك، سنتنا بمن قبلك في رسلنا وأوليائنا.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول: وإن يكذبك -يا محمد- هؤلاء المشركون بالله ويخالفوك فيما جئتهم به من التوحيد، فلك فيمن سلف قبلك من الرسل أسوة، فإنهم كذلك جاؤوا قومهم بالبينات وأمروهم بالتوحيد فكذبوهم وخالفوهم، ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ﴾ أي: وسنجزيهم على ذلك أوفر الجزاء.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ﴾؟

ج: المعنى -والله تعالى أعلم-: لا يخدعنكم بالله الشيطان.

ولذلك صور:

منها: أنه يُغريكم بأن الله ﷻ سيغفر لكم ويتجاوز عن سيئاتكم؛ لأنكم مؤمنون، فافعلوا ما بدا لكم من المعاصي والكبائر، وما شئتم فإن الله غفور رحيم.

قال تعالى: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا ٱلْأَدْنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا﴾ [الأعراف: ١٦٩].

ومنها: ما غرَّ به اليهود والنصارى لما زيَّن لهم أنهم أبناء الله وأحباؤه فارتكبوا الكفر وزعموا أن الله له ولد وقالوا: نحن أبناء الله وأحباؤه.

ومنها: ما غر به أبانا آدم فقد أقسم له بالله على صدق مدعاه من أنه سيكون

Mostafa Abdo.com

هو وزوجته ملكين أو يكونا من الخالدين، ﴿وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢١﴾ فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ ۚ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ۖ ...﴾.

ومن صور تغريره بهم التسويف بالتوبة وعدم المبادرة بها بدعوى أن العمر طويل وإظهاره أن الله غفور رحيم، وإخفاؤه أن الله شديد العقاب أحيانًا، وأحيانًا العكس لتقنيطهم من رحمة الله.

❁ ❁ ❁

س: وضح إجمالًا معنى قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿٥﴾﴾.

ج: المعنى – والله تعالى أعلم – أن ما وعد الله ﷻ به حقٌّ وصدق، فلا تنصرفوا عنه وتنخدعوا بالدنيا الفانية الزائلة فتصرفكم عن عبادة الله وطاعته بمتاعها وملذاتها، ولا يخدعنكم الشيطان بإخباركم بغير الحقيقة حتى يوقعكم في المآثم والمحرمات والكبائر والشرك، والقنوط من رحمة الله.

وبنحو هذا قال أهل العلم:

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ﴾ يقول تعالى ذكره لمشركي قريش المكذبي رسول الله ﷺ: يا أيها الناس إن وعد الله إياكم بأسه على إصراركم على الكفر به، وتكذيب رسوله محمد ﷺ، وتحذيركم نزول سطوته بكم على ذلك حق، فأيقنوا بذلك وبادروا حلول عقوبتكم بالتوبة والإنابة إلى طاعة الله والإيمان به وبرسوله ﴿فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا﴾ يقول: فلا يغرنكم ما أنتم فيه من العيش في هذه الدنيا ورياستكم التي تترأسون بها في ضعفائكم فيها عن اتباع محمد والإيمان ﴿وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ﴾ يقول: ولا يخدعنكم بالله

MOSTAFAWEBY.COM

الشيطان، فيمنيكم الأماني، ويعدكم من الله العدات الكاذبة، ويحملكم على الإصرار على كفركم بالله.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

ثم قال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ﴾ أي: المعاد كائن لا محالة، ﴿فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ﴾ أي: العيشة الدنيئة بالنسبة إلى ما أعد الله لأوليائه وأتباع رسله من الخير العظيم فلا تتلهّوا عن ذلك الباقي بهذه الزهرة الفانية، ﴿وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴾ وهو الشيطان. قاله ابن عباس. أي: لا يفتننكم الشيطان ويصرفنكم عن اتباع رسل الله وتصديق كلماته فإنه غرَّار كذاب أفاك. وهذه الآية كالآية التي في آخر لقمان: ﴿فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿٣٣﴾ ﴾ [لقمان: ٣٣] . قال مالك، عن زيد بن أسلم: هو الشيطان. كما قال: يقول المؤمنون للمنافقين يوم القيامة حين يضرب ﴿بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ ﴿١٣﴾ يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَٱرْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِىُّ حَتَّىٰ جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿١٤﴾ ﴾ [الحديد: ١٣ ، ١٤].

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٦﴾ ﴾؟

ج: المعنى – والله تعالى أعلم –: إن الشيطان لكم عدوٌّ يا بني آدم فأنزلوه المنزلة اللائقة به منزلة الأعداء الشريرين المفسدين فتخيل يا ابن آدم أن لك عدوًّا يتربص بك يريد اغتيالك يريد قتلك يريد سلب مالك، يريد الفتك بك فكيف تصنع معه؟! إنك تهرب منه غاية الهرب، وتفرُّ منه غاية الفرار فهكذا

الشيطان بل أشد من ذلك فلا تنخدع به فأمره لا يقتصر على قتلك واغتيالك إنما يمتد لإدخالك الجحيم وأن تصلى السعير عياذًا بالله.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ﴾ الذي نهيتكم أيها الناس أن تغتروا بغروره إياكم بالله ﴿لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾ يقول: فأنزلوه من أنفسكم منزلة العدو منكم واحذروه بطاعة الله واستغشاشكم إياه حذركم من عدوِّكم الذي تخافون غائلته على أنفسكم، فلا تطيعوه ولا تتبعوا خطواته، فإنه ﴿إِنَّمَا يَدْعُواْ حِزْبَهُۥ﴾، يعني شيعته ومن أطاعه، إلى طاعته والقبول منه، والكفر بالله ﴿لِيَكُونُواْ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ يقول: ليكونوا من المخلدين في نار جهنم التي تتوقد على أهلها.

وأورد بإسناد حسن عن قتادة قوله: ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾ فإنه لحقٌّ على كل مسلم عداوته، وعداوته أن يعاديه بطاعة الله ﴿إِنَّمَا يَدْعُواْ حِزْبَهُۥ﴾ وحزبه: أولياؤه ﴿لِيَكُونُواْ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ أي: ليسوقهم إلى النار فهذه عداوته.

وبإسناد صحيح عن ابن زيد، في قوله: ﴿إِنَّمَا يَدْعُواْ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ وقال: هؤلاء حزبه من الإنس، يقول: أولئك حزب الشيطان، والحزب: ولاته الذين يتولاهم ويتولونه وقرأ: ﴿إِنَّ وَلِيِّۦَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ ۖ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩٦﴾﴾ [الأعراف: ١٩٦].

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ثم بين تعالى عداوة إبليس لابن آدم فقال: ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ

عَدُوًّا﴾ أي: هو مبارز لكم بالعداوة، فعادوه أنتم أشد العداوة، وخالفوه وكذبوه فيما يغركم به، ﴿إِنَّمَا يَدْعُواْ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ أي: إنما يقصد أن يضلكم حتى تدخلوا معه إلى عذاب السعير، فهذا هو العدو المبين. فنسأل الله القوي العزيز أن يجعلنا أعداء الشيطان، وأن يرزقنا اتباع كتابه، والاقتفاء بطريق رسوله، إنه على ما يشاء قدير، وبالإجابة جدير. وهذه كقوله: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ ۗ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌۢ ۚ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا ﴿٥٠﴾﴾ [الكهف: ٥٠].

وقال القرطبي رحمه الله:

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ﴾ هذا وعظ للمكذبين للرسول بعد إيضاح الدليل على صحة قوله: إن البعث والثواب والعقاب حق ﴿فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا﴾ قال سعيد بن جبير: غرور الحياة الدنيا أن يشتغل الإنسان بنعيمها ولذاتها عن عمل الآخرة حتى يقول: يا ليتني قدمت لحياتي ﴿وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ﴾ قال ابن السكيت و أبو حاتم: الغرور الشيطان وغرور جمع غر وغر مصدر ويكون الغرور مصدرًا وهو بعيد عند غير أبي إسحاق لأن غررته متعدٍّ والمصدر المتعدي إنما هو على فعل نحو: ضربته ضربًا إلا في أشياء يسيرة، لا يقاس عليها قالوا: لزمته لزومًا ونهكه المرض نهوكًا فأما معنى الحرف فأحسن ما قيل فيه ما قاله سعيد بن جبير قال: الغرور بالله أن يكون الإنسان يعمل بالمعاصي، ثم يتمنى على الله المغفرة وقراءة العامة (**الغرور**) بفتح الغين وهو الشيطان أي لا يغرنكم بوساوسه في أنه يتجاوز عنكم لفضلكم وقرأ أبو حيوة و أبو السمال العدوي ومحمد بن السميقع

الغرور برفع الغين وهو الباطل أي لا يغرنكم الباطل وقال ابن السكيت : والغرور بالضم ما اغتر به من متاع الدنيا. قال الزجاج : ويجوز أن يكون الغرور جمع غار مثل قاعد وقعود. النحاس : أو جمع غر أو يشبه بقولهم : نهكه المرض نهوكًا ولزمه لزومًا. الزمخشري : أو مصدر غره كاللزوم والنهوك.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٞۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٞ كَبِيرٞ ٧ ﴾؟

ج: هذا بيانٌ لمصير أهل الكفر وجزائهم وكذا بيان لمصير أهل الإيمان والعمل الصالح ولجزائهم فالذين كفروا أعد الله لهم عذابًا شديدًا يلقونه يوم يبعثون، وأهل الإيمان لهم مغفرةٌ لذنوبهم وأجر كبير مدخرٌ لهم عند لقاء ربهم، وهو الجنة ورضوان الله ﷻ، ومن المذكور أيضًا عذاب القبر ونعيمه، فمن العذاب الشديد المعدّ لأهل الكفر عذابٌ في قبورهم، وفي المقابل أيضًا أمنٌ وأمانٌ لأهل الإيمان في القبور.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ﴿ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾ بالله ورسوله ﴿لَهُمۡ عَذَابٞ ﴾ من الله ﴿شَدِيدٞۖ ﴾ وذلك عذاب النار. وقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ يقول: والذين صدقوا الله ورسوله، وعملوا بما أمرهم الله وانتهوا عما نهاهم عنه ﴿لَهُم مَّغۡفِرَةٞ﴾ من الله لذنوبهم ﴿وَأَجۡرٞ كَبِيرٞ ﴾ وذلك الجنة.

MOSTAFALADAWY.COM

وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

لما ذكر تعالى أن أتباع إبليس مصيرهم إلى السعير، ذكر بعد ذلك أن الذين كفروا لهم عذاب شديد؛ لأنهم أطاعوا الشيطان وعَصَوا الرحمن، وأن الذين آمنوا بالله ورسله ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ﴾ أي: لما كان منهم من ذنب، ﴿وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ على ما عملوه من خير.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا﴾، وهل عقبه مقدرٌ محذوف أم لا؟

ج: المعنى -والله أعلم-: أفمن حسَّن له الشيطان عَمَلَه السيئ فرآه بتزيين الشيطان له عملًا حسنًا صوابًا صالحًا مقبولًا، واستمر في ضلالته، وهو يحسبها هدايات، واستمر في منكراته ويحسب ذلك حسنًا وجميلًا وصوابًا، واستمر في شركه ويحسب أنه على خير، أفمن كانت هذه حاله ذهبت نفسك عليه حسرات؟!!

كلا، لا ينبغي أبدًا أن تذهب نفسك عليه حسرات، فجواب أفمن زين له سوء عمله فرآه حسنًا فعمل السيئات ذهبت نفسك عليه حسرات؟!

وفي معنى الآية الكريمة قوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴿١٠٣﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾﴾ [الكهف: ١٠٣، ١٠٤].

وفي معنى هؤلاء اليهود والنصارى الذين تعبدوا بطرائق باطلة وأشركوا بالله وكذا الخوارج، وطرائق المتصوفة الضالة والمعتزلة والمرجئة وغير هؤلاء.

MOSTAFAADAWY.COM

❁ ❁ ❁

س: اذكر بعض الآيات في معنى قوله تعالى: ﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍ﴾؟

ج: في معناها قوله تعالى: ﴿فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفًا ۝٦﴾ [الكهف: ٦].

وقوله تعالى: ﴿لَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ۝٣﴾ [الشعراء: ٣].

❁ ❁ ❁

س: وضح إجمالًا معنى قوله تعالى: ﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًا ۖ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۖ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ۝٨﴾؟

ج: المعنى إجمالًا –والله أعلم– أفمن حُسِّن له في نظره عمره السيئ، وظهر في عينيه أنه عملٌ حسن فاستمر فيه ودافع عنه، أفمن كانت تلك حاله تأسفت عليه وتحسرت وتقطعت نفسك أحزانًا عليهم وندمًا على ما تركوا من الخير وحزنًا على ما سيلقونه يوم القيامة من أليم العقاب.

ألا فاعلم أن الله ﷻ يضلُّ من يشاء، يصرفه عن الطاعة والإيمان والعمل الصالح، ويهدي من يشاء، ويوفق للخير من يشاء، فلا تتقطع نفسك حسرات عليهم، فالله أعلم بهم منك، وأعلم بصنيعهم منك، وبنحو هذا قال أهل التأويل.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: أفمن حسَّن له الشيطان أعماله السيئة من معاصي الله

Nostrapdf.com

والكفر به، وعبادة ما دونه من الآلهة والأوثان، فرآه حسنًا فحسب سيىء ذلك حسنًا، وظن أن قبحه جميل، لتزيين الشيطان ذلك له. ذهبت نفسك عليهم حسرات، وحذف من الكلام: ذهبت نفسك عليهم حسرات اكتفاء بدلالة قوله: ﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍ﴾ منه، وقوله: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ يقول: فإن الله يخذل من يشاء عن الإيمان به واتباعك وتصديقك، فيضله عن الرشاد إلى الحق في ذلك، ويهدي من يشاء، يقول: ويوفق من يشاء للإيمان به واتباعك والقبول منك، فتهديه إلى سبيل الرشاد ﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍ﴾ يقول: فلا تهلك نفسك حزنًا على ضلالتهم وكفرهم بالله وتكذيبهم لك.

وأورد بإسناد حسن عن قتادة: ﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًا فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ قال قتادة والحسن: الشيطان زيَّن لهم ﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍ﴾ أي: لا يحزنك ذلك عليهم؛ فإن الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء.

وبإسناد صحيح عن ابن زيد، في قول الله: ﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍ﴾ قال: الحسرات الحزن، وقرأ قول الله: ﴿يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ﴾ [الزمر: ٥٦].

وقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: إن الله يا محمد ذو علم بما يصنع هؤلاء الذين زين لهم الشيطان سوء أعمالهم، وهو محصيه عليهم، ومجازيهم به جزاءهم.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

MOSTAFAAbw.com

ثم قال: ﴿ أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًا ﴾ يعني: كالكفار والفجار، يعملون أعمالًا سيئة، وهم في ذلك يعتقدون ويحسبون أنهم يحسنون صنعًا، أي: أفمن كان هكذا قد أضله الله، ألك فيه حيلة؟ لا حيلة لك فيه، ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۖ ﴾ أي: بقدره كان ذلك، ﴿فَلَا تَذۡهَبۡ نَفۡسُكَ عَلَيۡهِمۡ حَسَرَٰتٍۚ ﴾ أي: لا تأسف على ذلك فإن الله حكيم في قدره، إنما يضل من يضل ويهدي من يهدي، لما له في ذلك من الحجة البالغة، والعلم التام؛ ولهذا قال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِمَا يَصۡنَعُونَ ﴾.

وقال القرطبي رحمه الله:

قلت: والقول بأن المراد كفار قريش أظهر الأقوال لقوله تعالى: ﴿ ۞ لَّيۡسَ عَلَيۡكَ هُدَىٰهُمۡ ﴾ [البقرة: ٢٧٢] وقوله: ﴿وَلَا يَحۡزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡكُفۡرِۚ ﴾ [آل عمران: ١٧٦] وقوله: ﴿ فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٞ نَّفۡسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمۡ إِن لَّمۡ يُؤۡمِنُواْ بِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ أَسَفًا ٦ ﴾ [الكهف: ٦]. وقوله: ﴿ لَعَلَّكَ بَٰخِعٞ نَّفۡسَكَ أَلَّا يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ ٣ ﴾ [الشعراء: ٣] وقوله في هذه الآية: ﴿فَلَا تَذۡهَبۡ نَفۡسُكَ عَلَيۡهِمۡ حَسَرَٰتٍۚ ﴾ وهذا ظاهر بيِّنٌ أي لا ينفع تأسفك على مقامهم على كفرهم فإن الله أضلهم وهذه الآية ترد على القدرية قولهم على ما تقدم أي أفمن زين له سوء عمله فرآه حسنًا تريد أن تهديه وإنما ذلك إلى الله لا إليك والذي إليك هو التبليغ.

❁ ❁ ❁

Mostafa Army.com

بعض الاستدلالات على البعث

س: كثيرًا ما يستدل على البعث بإحياء الأرض بعد موتها دلِّل على ذلك؟

ج: قد قدمت الأدلة على ذلك في مواطن كثيرة من كتابي هذا (التسهيل)، ومنها ها هنا:

قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾، ثم قال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ﴾، أي: الخروج من القبور.

وقوله تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ۝٥ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ...﴾ [الحج: ٥، ٦].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ﴾ [فصلت: ٣٩].

وقوله تعالى: ﴿وَأَحْيَيْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا كَذَٰلِكَ ٱلْخُرُوجُ ۝١١﴾ [ق: ١١].

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ ۝٩﴾؟

ج: المعنى – والله أعلم –: والله هو الذي أرسل الرياح فتهيّج هذه الرياح السحب وتحركها من مكان إلى مكان حتى تضمها إلى بعضها، كما قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزْجِى سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُۥ ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ رُكَامًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ﴾ [النور: ٤٣]، فيسوق الله ﷻ السحب إلى حيث يريد، يسوقها كذلك إلى بلدةٍ من البلاد التي لا نبات فيها ولا زرع ولا ثمر فتصب السحب – بإذن الله – ماءها في هذه البلاد فيحيي الله ﷻ بهذا الماء النازل من السماء تلك الأرض الميتة فإذا الأرض قد اهتزت وربت وأنبتت من كل زوجٍ بهيج..

Nostafa.com

فهكذا يخرج الله الموتى من القبور أحياءً بعد إماتتهم. يخرجهم الله أحياء يوم القيامة، وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: والله الذي أرسل الرياح فتثير السحاب للحيا والغيث ﴿فَسُقْنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ﴾ يقول: فسقناه إلى بلد مجدب الأهل، محل الأرض، داثر لا نبت فيه ولا زرع ﴿فَأَحْيَيْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ يقول: فأخصبنا بغيث ذلك السحاب الأرض التي سقناه إليها بعد جدوبها، وأنبتنا فيها الزرع بعد المحل ﴿كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ﴾ يقول تعالى ذكره: هكذا يُنْشِر الله الموتى بعد بلائهم في قبورهم، فيحييهم بعد فنائهم، كما أحيينا هذه الأرض بالغيث بعد مماتها.

وأورد بإسناد صحيح عن أبي الزعراء عن عبد الله قال: يكون بين النفختين ما شاء الله أن يكون، فليس من بني آدم إلا وفي الأرض منه شيء، قال: فيرسل الله ماءً من تحت العرش؛ منيًّا كمني الرجل، فتنبت أجسادهم ولحمانهم من ذلك، كما تنبت الأرض من الثرى، ثم قرأ: ﴿وَٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ ...﴾ إلى قوله: ﴿كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ﴾ قال: ثم يقوم ملك بالصور بين السماء والأرض، فينفخ فيه فتنطلق كل نفس إلى جسدها فتدخل فيه.

وبأثر حسن عن قتادة قوله: ﴿وَٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا﴾ قال: يرسل الرياح فتسوق السحاب، فأحيا الله به هذه الأرض الميتة بهذا الماء، فكذلك يبعثه يوم القيامة.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

كثيرًا ما يستدل تعالى على المعاد بإحيائه الأرض بعد موتها -كما في

سورة الحج -ينبه عباده أن يعتبروا بهذا على ذلك، فإن الأرض تكون ميتة هامدة لا نبات فيها، فإذا أرسل إليها السحاب تحمل الماء وأنزله عليها، ﴿اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ۝٥﴾ [الحج: ٥]، كذلك الأجساد، إذا أراد الله سبحانه بعثها ونشورها، أنزل من تحت العرش مطرًا يعمُّ الأرض جميعًا فتنبت الأجساد في قبورها كما ينبت الحب في الأرض؛ ولهذا جاء في الصحيح: «**كلُّ ابن آدم يبلى إلا عَجْب الذَّنَب، منه خلق ومنه يركب**»(١)؛ ولهذا قال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ﴾.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾؟

ج: المعنى – والله تعالى أعلم –: من كان النصر والغلبة والقوة والتأييد على العدو والتعزز وغير ذلك مما تقتضيه معاني كلمة العزة فليعلم أن كل ذلك لله ﷻ فهو العزيز، وهو الذي يعزُّ ويذلُّ ويقبض ويبسط ويرفع ويخفض ويُكرم ويهين فليطلب ما يريده من الله ﷻ، وليتعزز بطاعته لله جل وعلا، فمن كان سائلًا عن العزة فهي لله وهو العزيز، ومن كان يريد التعزز فليطلبه من الله ولينالـه بطاعة الله ﷻ لا من الأصنام والأوثان، ولا من المعبودات من دون الله، ولا من أحد سوى الله.

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

اختلف أهل التأويل في معنى قوله: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾ فقال

---

(١) البخاري (٤٩٣٥)، ومسلم (٢٩٥٥).

Mostafa Adawy.com

بعضهم: معنى ذلك: من كان يريد العزة بعبادة الآلهة والأوثان فإن العزة لله جميعًا.

وقال آخرون: معنى ذلك من كان يريد العزة فليتعزز بطاعة الله.

وأورد بإسناد حسن عن قتادة قوله: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا ﴾ يقول: فليتعزز بطاعة الله.

قال الطبري: وقال آخرون: بل معنى ذلك: من كان يريد علم العزة لمن هي، فإنه لله جميعًا كلها أي: كل وجه من العزة فلله.

والذي هو أولى الأقوال بالصواب: عندي قول من قال: من كان يريد العزة فبالله فليتعزز، فلله العزة جميعًا، دون كل ما دونه من الآلهة والأوثان.

وإنما قلت: ذلك أولى بالصواب لأن الآيات التي قبل هذه الآية، جرت بتقريع الله المشركين على عبادتهم الأوثان، وتوبيخه إياهم، ووعيده لهم عليها، فأولى بهذه أيضًا أن تكون من جنس الحث على فراق ذلك، فكانت قصتها شبيهة بقصتها، وكانت في سياقها.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا ﴾ أي: مَنْ كان يحب أن يكون عزيزًا في الدنيا والآخرة، فليلزم طاعة الله، فإنه يحصل له مقصوده؛ لأن الله مالك الدنيا والآخرة، وله العزة جميعها، كما قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴿١٣٩﴾ ﴾ [النساء: ١٣٩].

وقال تعالى: ﴿ وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ ۘ إِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ۚ ﴾ [يونس: ٦٥].

وقال: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾ ﴾

[المنافقون: ٨]

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾ التقدير عند الفراء: من كان يريد علم العزة وكذا قال غيره من أهل العلم أي من كان يريد علم العزة التي لا ذلة معها لأن العزة إذا كانت تؤدي إلى ذلة فإنما هي تعرض للذلة والعزة التي لا ذل معها لله عز وجل ﴿جَمِيعًا﴾ منصوب على الحال وقدر الزجاج معناه: من كان يريد بعبادته الله عز وجل العزة - والعزة له سبحانه - فإن الله عز وجل يعزه في الآخرة والدنيا.

قلت: وهذا أحسن وروي مرفوعا على ما يأتي ﴿فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾ ظاهر هذا إيئاس السامعين من عزته وتعريفهم أن ما وجب له من ذلك لا مطمع فيه لغيره فتكون الألف واللام للعهد عند العالمين به - سبحانه - وبما وجب له من ذلك وهو المفهوم من قوله الحق في سورة يونس: ﴿وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ﴾ [يونس: ٦٥].

ويحتمل أن يريد سبحانه أن ينبه ذوي الأقدار والهمم من أين تنال العزة ومن أين تستحق فتكون الألف واللام للاستغراق وهو المفهوم من آيات هذه السورة فمن طلب العزة من الله وصدقه في طلبها بافتقار وذل وسكون وخضوع وجدها عنده - إن شاء الله - غير ممنوعة ولا محجوبة عنه، قال ﷺ: «**من تواضع لله رفعه الله ومن طلبها من غيره وكله إلى من طلبها عنده**» وقد ذكر قوم طلبوا العزة عند من سواه فقال: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴿١٣٩﴾﴾ [النساء: ١٣٩] فأنبأك صريحًا لا

إشكال فيه أن العزة له يعز بها من يشاء ويذل من يشاء

وقال ﷺ مفسرًا لقوله : ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا ﴾ : «**من أراد عز الدارين فليطع العزيز**» وهذا معنى قول الزجاج ولقد أحسن من قال :

وإذا تذللت الرقاب تواضعا منا إليك فعزها في ذلها

فمن كان يريد العزة لينال الفوز الأكبر ويدخل دار العزة – ولله العزة فليقصد بالعزة الله سبحانه والاعتزاز به فإنه من اعتز بالعبد أذله الله ومن اعتز بالله أعزه الله.

❁ ❁ ❁

س: ما المراد بالكلم الطيب؟

ج: المراد، والله أعلم: كل كلم يُرضي الله ويحبه الله ﷻ فيدخل في ذلك ذِكْرُهُ تبارك وتعالى بالتهليل والتكبير والتسبيح والحمد وغير ذلك، كقولنا: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله، وحسبي الله ونعم الوكيل، وغير ذلك.

ويدخل فيه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والإصلاح بين الناس والحث على الصدقة، ويدخل فيه قراءة القرآن ووعظ الناس وغير ذلك.

❁ ❁ ❁

س: هل كل كلم طيب لا يرتفع إلا مع عمل صالح؟

ج: ليس الأمر كذلك، وإنما المراد بالكلم؛ الكلم الذي له ارتباط بالعمل.

فعلى سبيل المثال قولنا: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر كل ذلك يصعد بإذن الله وإن لم يكن مشفوعًا بعمل صالح.

MOSTAFALADWY.COM

أما الكلم الطيب الذي له ارتباط بالعمل نفسه ففيه تفصيل فإذا كان الشخص يقول للناس: (لا تغشوا) وهو كبير الغشاشين، أو قال لهم: (لا تزنوا) وهو الزاني الأثيم، ونحو ذلك فإن عمله يدمر قوله كأهل النفاق، يقولون: لا إله إلا الله، وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى يراءون الناس ولا يذكرون الله إلا قليلًا.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾؟

ج: لأهل العلم في ذلك أقوال:

القول الأول: أن العمل الصالح يرفع الكلم الطيب أخرج الطبري بإسنادٍ حسن عن قتادة قوله: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ قال: قال الحسن وقتادة: لا يقبل الله قولًا إلا بعمل، من قال وأحسن العمل قبل الله منه.

القول الثاني: إن قوله تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾ كلامٌ تامٌّ، ومعناه: أن الكلم الطيب يصعد إلى الله.

وقوله: ﴿وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ أي: يرفعه الله أو يرفع صاحبه.

وهذه بعض أقوال العلماء في ذلك.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾ يقول تعالى ذكره: إلى الله يصعد ذكر العبد إياه وثناؤه عليه ﴿وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ يقول: ويرفع ذكر العبد ربه إليه عمله الصالح، وهو العمل بطاعته، وأداء فرائضه والانتهاء إلى ما أمر به.

Mostafa Adly.com

حدثني محمد بن إسماعيل الأحمسي قال: أخبرني جعفر بن عون عن عبد الرحمن بن عبد الله المسعودي عن عبد الله بن المخارق عن أبيه المخارق بن سليم قال: قال لنا عبد الله: إذا حدثناكم بحديث أتيناكم بتصديق ذلك من كتاب الله، إن العبد المسلم إذا قال: سبحان الله وبحمده، الحمد لله لا إله إلا الله، والله أكبر، تبارك الله، أخذهن ملك فجعلهن تحت جناحيه ثم صعد بهن إلى السماء، فلا يمر بهن على جمع من الملائكة إلا استغفروا لقائلهن حتى يحيي بهن وجه الرحمن، ثم قرأ عبد الله: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾.

وأورد بإسناد صحيح عن عبد الله بن شقيق قال: قال كعب: إن لسبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر، لدويًّا حول العرش كدوي النحل يذكرن بصاحبهن والعمل الصالح في الخزائن.

وبإسنادٍ حسن عن قتادة قوله: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ قال: قال الحسن وقتادة: لا يقبل الله قولا إلا بعمل، من قال وأحسن العمل قبل الله منه.

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قال ابن عباس : فإذا ذكر العبد الله وقال كلامًا طيبًا وأدى فرائضه ارتفع قوله مع عمله وإذا قال ولم يؤد فرائضه رد قوله على عمله.

قال ابن عطية : وهذا قول يرده معتقد أهل السنة ولا يصح عن ابن عباس والحق أن العاصي التارك للفرائض إذا ذكر الله وقال كلامًا طيبًا فإنه مكتوب له متقبلًا منه وله حسناته وعليه سيئاته والله تعالى يتقبل من كل من اتقى الشرك

MOSTAFALAWY.COM

وأيضًا فإن الكلام الطيب عمل صالح وإنما يستقيم قول من يقول : إن العمل هو الرافع للكلم بأن يتأول أنه يزيده في رفعه وحسن موقعه إذا تعاضد معه كما أن صاحب الأعمال من صلاة وصيام وغير ذلك إذا تخلل أعماله كلم طيب وذكر الله تعالى، كانت الاعمال أشرف فيكون قوله ﴿وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ موعظة وتذكرة وحضًا على الأعمال وأما الأقوال التي هي أعمال في نفوسها كالتوحيد والتسبيح فمقبولة. قال ابن العربي : «إن كلام المرء بذكر الله إن لم يقترن به عمل صالح لم ينفعه؛ لأن من خالف قوله فعله فهو وبال عليه وتحقيق هذا : أن العمل إذا وقع شرطًا في قبول القول أو مرتبطًا فإنه لا قبول له إلا به وإن لم يكن شرطًا فيه فإن كلمه الطيب يكتب له وعمله السيئ يكتب عليه وتقع الموازنة بينهما ثم يحكم الله بالفوز والربح والخسران».

قلت: ما قاله ابن العربي تحقيق والظاهر أن العمل الصالح شرط في قبول القول الطيب وقد جاء في الآثار أن العبد إذا قال : لا إله إلا الله بنية صادقة نظرت الملائكة إلى عمله فإن كان العمل موافقا لقوله صعدا جميعا وإن كان عمله مخالفًا وقف قوله حتى يتوب من عمله فعلى هذا العمل الصالح يرفع الكلم الطيب إلى الله والكناية في يرفعه ترجع إلى الكلم الطيب وهذا قول ابن عباس و شهر بن حوشب وسعيد بن جبير ومجاهد وقتادة وأبي العالية والضحاك وعلى أن الكلم الطيب هو التوحيد فهو الرافع للعمل الصالح لأنه لا يقبل العمل الصالح إلا مع الإيمان والتوحيد أي والعمل الصالح يرفعه الكلم الطيب فالكناية تعود على العمل الصالح.

❁ ❁ ❁

س: وضح المراد بقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَمۡكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٞۖ وَمَكۡرُ أُوْلَٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ ١٠﴾؟

ج: المعنى – والله تعالى أعلم-: والذين يمكرون بخلق الله فيعملون بالسيئات (الشرك والكبائر والرياء ونحوها) ويوهمون الناس أنهم على طاعة لهم عذاب شديد.

ومكر هؤلاء المشركين من أهل مكة في باطل وضلال وذهاب وبوار، فهو مكر زائلٌ والله خير الماكرين وبنحو هذا قال العلماء.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ يَمۡكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٞۖ﴾ يقول تعالى ذكره: والذين يكسبون السيئات لهم عذاب جهنم.

وأورد عن قتادة بإسنادٍ حسن قال: هؤلاء أهل الشرك.

وقال الطبري أيضًا وقوله: ﴿وَمَكۡرُ أُوْلَٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ﴾ يقول: وعمل هؤلاء المشركين يبور، فيبطل فيذهب؛ لأنه لم يكن لله، فلم ينفع عامله.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ يَمۡكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾: قال مجاهد، وسعيد بن جُبَيْر، وشَهْر ابن حَوْشَب: هم المراؤون بأعمالهم، يعني: يمكرون بالناس، يوهمون أنهم في طاعة الله، وهم بُغَضَاء إلى الله عز وجل، يراؤون بأعمالهم، ﴿وَلَا يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلٗا ١٤٢﴾ [النساء: ١٤٢]. وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: هم المشركون.

والصحيح أنها عامة، والمشركون داخلون بطريق الأولى، ولهذا قال: ﴿لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٞۖ وَمَكۡرُ أُوْلَٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ﴾، أي: يفسد ويبطل ويظهر زيفهم عن

قريب لأولي البصائر والنُّهى، فإنه ما أسر عبد سريرة إلا أبداها الله على صفحات وجهه وفلتات لسانه، وما أسر أحد سريرة إلا كساه الله رداءها، إن خيرًا فخير، وإن شرًّا فشر. فالمرائي لا يروج أمره ويستمر إلا على غبي، أما المؤمنون المتفرسون فلا يروج ذلك عليهم، بل يُكشَف لهم عن قريب، وعالم الغيب لا تخفى عليه خافية.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ﴾؟

ج: لأهل العلم في ذلك أقوال:

أحدها: وما يعيش شخص عُمرًا طويلًا وزمنًا طويلًا، إلا وعمره مكتوب عند الله.

وكذا ولا يُنقص من عمر شخص آخر، أي: وما يموت شخص آخر في صغره إلا وعمره مكتوب عند الله.

والثاني: وما يعمر من معمر، ولا ينقص من أيامه ولو يوم واحد إلا والله يعلمه، يعلم ما تبقى من عمره وما بقي.

وسيأتي مزيد من القول في جواب السؤال التالي بإذن الله.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَٰجًا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١١﴾﴾؟

MOSTAFALAWY.COM

ج: حاصلُ معناه – والله أعلم-: أن الله ﷻ ذكَّر عباده بأصل خلقهم فقال: ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ﴾ أي: خلق أباكم آدم عليه السلام من تراب، ثم خلقكم يا بني آدم من نطفة ﴿مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ ﴿٣٧﴾ ﴾ [القيامة: ٣٧] وكما قال: ﴿مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ ﴾ [الإنسان: ٢] أي أخلاط، فقيل: من نطفة من مني الرجل ومني المرأة، ثم بعد ذلك أخرجكم من بطون أمهاتكم وجعل منكم الذكر والأنثى يتزوجان، وبيَّن الله ﷻ عظيم علمه بقوله: ﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ ﴾ في بطنها و﴿وَلَا تَضَعُ ﴾ ما في بطنها إلا بعلم الله بذلك وتقدير الله ذلك، وما يعيش شخصٌ زمنًا طويلًا، ولا ينقص من عمر شخص آخر فيموت صغيرًا أو دون الشيخوخة، إلا وكل ذلك مسطرٌ مكتوب عند الله ﷻ فذلك على الله أمر سهل ويسير.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُم ﴾ أيها الناس ﴿مِّن تُرَابٍ ﴾ يعني بذلك أنه خلق أباهم آدم من تراب؛ فجعل خلق أبيهم منه لهم خلقًا ﴿ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ﴾ يقول: ثم خلقكم من نطفة الرجل والمرأة ﴿ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا ﴾ يعني أنه زوج منهم الأنثى من الذكر.

وأورد بإسناد حسنٍ عن قتادة: ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ﴾ يعني آدم ﴿ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ﴾ يعني ذريته ﴿ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا ﴾ فزوج بعضكم بعضًا.

وقوله: ﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ ﴾ يقول تعالى ذكره: وما تحمل من أنثى منكم أيها الناس من حمل ولا نطفة إلا وهو عالم بحملها إياه ووضعها وما هو؟ ذكر أو أنثى؟ لا يخفى عليه شيء من ذلك.

وقوله: ﴿وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ ﴾ اختلف أهل

التأويل في تأويل ذلك؛ فقال بعضهم: معناه: وما يعمر من معمر فيطول عمره، ولا ينقص من عمر آخر غيره عن عمر هذا الذي عمر عمرًا طويلا ﴿إِلَّا فِي كِتَٰبٍ﴾ عنده مكتوب قبل أن تحمل به أمه، وقبل أن تضعه، قد أحصى ذلك كله وعلمه قبل أن يخلقه، لا يزاد فيما كتب له ولا ينقص.

وأورد بإسناد صحيح عن ابن زيد، في قوله: ﴿وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ﴾ قال: ألا ترى الناس؛ الإنسان يعيش مائة سنة، وآخر يموت حين يولد؟ فهذا هذا، فالهاء التي في قوله: ﴿وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ﴾ على هذا التأويل، وإن كانت في الظاهر أنها كناية عن اسم المعمر الأول، فهي كناية اسم آخر غيره، وإنما حسن ذلك لأن صاحبها لو أظهر لظهر بلفظ الأول، وذلك كقولهم: عندي ثوب ونصفه، والمعنى: ونصف الآخر.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: وما يعمر من معمَّر ولا ينقص من عمره بفناء ما فني من أيام حياته، فذلك هو نقصان عمره، والهاء على هذا التأويل للمعمر الأول؛ لأن معنى الكلام: ما يطول عمر أحد، ولا يذهب من عمره شيء، فيُنقَص إلا وهو في كتاب عند الله مكتوب، قد أحصاه وعلمه.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وأولى التأويلين في ذلك عندي الصواب التأويل الأول، وذلك أن ذلك هو أظهر معنييه، وأشبههما بظاهر التنزيل.

وقوله: ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ يقول تعالى ذكره: إن إحصاء أعمار خلقه عليه يسير سهل، طويل ذلك وقصيره، لا يتعذر عليه شيء منه.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

MostafaLabiad.com

وقوله: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ﴾ أي: ابتدأ خلق أبيكم آدم من تراب، ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين، ﴿ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَٰجًا﴾ أي: ذكرًا وأنثى، لطفًا منه ورحمة أن جعل لكم أزواجًا من جنسكم، لتسكنوا إليها.

وقوله: ﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ﴾ أي: هو عالم بذلك، لا يخفى عليه من ذلك شيء، بل ﴿وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾﴾ [الأنعام: ٥٩]. وقد تقدم الكلام على قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ ۖ وَكُلُّ شَىْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ ﴿٨﴾ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ ﴿٩﴾﴾ [الرعد: ٨، ٩].

وقوله: ﴿وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ﴾ أي: ما يعطى بعض النُّطف من العمر الطويل يعلمه، وهو عنده في الكتاب الأول، ﴿وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ﴾ الضمير عائد على الجنس، لا على العين؛ لأن العين الطويل العمر في الكتاب وفي علم الله لا ينقص من عمره، وإنما عاد الضمير على الجنس.

قال ابن جرير: وهذا كقولهم: «عندي ثوب ونصفه» أي: ونصف آخر.

ثم قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقال بعضهم: بل معناه: ﴿وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ﴾ أي: ما يكتب من الأجل ﴿وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ﴾، وهو ذهابه قليلًا قليلًا الجميع معلوم عند الله سنة بعد سنة، وشهرًا بعد شهر، وجمعة بعد جمعة، ويومًا بعد يوم، وساعة بعد ساعة، الجميع مكتوب عند الله في كتاب.

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقال النسائي عند تفسير هذه الآية الكريمة: حدثنا أحمد بن يحيى بن أبي

Nostrabooks.com

زيد بن سليمان، سمعت ابن وهب يقول: حدثني يونس، عن ابن شهاب، عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**مَنْ سرَّه أن يُبْسَط له في رزقه، ويُنْسَأ له في أجله فليصل رَحِمَه**».

وقد رواه البخاري ومسلم وأبو داود، من حديث يونس بن يزيد الأيلي، به.

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقوله: ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ أي: سهل عليه، يسير لديه علمه بذلك وبتفصيله في جميع مخلوقاته، فإن علمه شامل لجميع ذلك لا يخفى عليه منه شيء.

وقال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ﴾ قال سعيد عن قتادة قال: يعني آدم عليه السلام والتقدير على هذا: خلق أصلكم من تراب ﴿ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ﴾ قال: أي التي أخرجها من ظهور آبائكم ﴿ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَٰجًا﴾ قال: أي زوج بعضكم بعضًا فالذكر زوج الأنثى ليتم البقاء في الدنيا إلى انقضاء مدتها ﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ﴾ أي جعلكم أزواجًا فيتزوج الذكر بالأنثى فيتناسلان بعلم الله فلا يكون حمل ولا وضع إلا والله عالم به فلا يخرج شيء عن تدبيره ﴿وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ﴾ سماه معمرًا بما هو صائر إليه.

❁ ❁ ❁

MOSTAFAALADWY.COM

قال الله تعالى:

﴿وَمَا يَسْتَوِي ٱلْبَحْرَانِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَآئِغٌ شَرَابُهُۥ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ ۖ وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا ۖ وَتَرَى ٱلْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۚ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴿١٤﴾﴾.

[فاطر: ١٢-١٤]

MOSTAFAALAWY.COM

س: اذكر معنى ما يلي:

﴿ٱلْبَحْرَانِ -عَذْبٌ فُرَاتٌ -سَآئِغٌ شَرَابُهُۥ -مِلْحٌ أُجَاجٌ -ٱلْفُلْكَ -مَوَاخِرَ -لِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ - يُولِجُ -لِأَجَلٍ مُّسَمًّى -قِطْمِيرٍ - يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ -وَلَا يُنَبِّئُكَ -مِثْلُ خَبِيرٍ﴾؟

ج:

الكلمة	معناها
﴿ٱلْبَحْرَانِ﴾	البحر والنهر
﴿عَذْبٌ فُرَاتٌ﴾	شديد العذوبة والطعم العذب
﴿سَآئِغٌ شَرَابُهُۥ﴾	مستساغ عند شربه (تستسيغه النفوس)
﴿مِلْحٌ أُجَاجٌ﴾	ملح شديد الملوحة والمرارة
﴿ٱلْفُلْكَ﴾	السفن العظيمة الهائلة
﴿مَوَاخِرَ﴾	تشق المياه – تمخرها – شاقة للمياه عند سيرها في البحار
﴿لِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ﴾	لتلتمسوا فضل الله بالتجارات ونحوها
﴿يُولِجُ﴾	يدخل
﴿لِأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾	لوقتٍ قد سماه الله وحدَّده
﴿قِطْمِيرٍ﴾	القشرة الرقيقة التي تكون على النواة
﴿يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ﴾	ينكرون كونهم كانوا شركاء الله يتبرؤون من عبادتكم لهم

MostafaAlaw.com

﴿وَلَا يُنَبِّئُكَ﴾	ولا يخبرك
﴿مِثْلُ خَبِيرٍ﴾	مثل ذو خبرة

❁ ❁ ❁

س: ما المراد بالبحرين في قوله تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِي ٱلْبَحْرَانِ﴾؟

ج: المراد بالبحرين (العذب والمالح).

الأنهار (في اصطلاحنا) والبحار المالحة.

❁ ❁ ❁

س: لماذا أطلق عليهما بحران، وإنما هي بحارٌ وأنهارٌ؟

ج: لذلك، وجهان، والله أعلم:

أحدهما: أن النهر أطلق عليه بحر لاتساعه وقد قال النبي ﷺ عن الفرس: «**وإن وجدناه لبحرًا**» لاتساعه.

الثاني: أنه أطلق على النهر بحرٌ هاهنا تغليبًا كما نقول الأبوان (والمراد الأب والأم) وكما يُقال الشمسان، والمراد الشمس والقمر، وبين كل أذانين صلاة، والمراد الأذان والإقامة والأسودان، والمراد التمر والماء، والله أعلم.

❁ ❁ ❁

س: ما وجه التذكير بقوله تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِي ٱلْبَحْرَانِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ﴾؟

ج: فائدته التذكير بأمور:

* منها: التذكير بقدرة الله ﷻ على خلق الشيء وما يقابله، كما قال: ﴿سُبْحَانَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلْأَزْوَاجَ كُلَّهَا ...﴾ [يس: ٣٦]، وكما خلق الليل والنهار، والظلمات والنور، والظل والحرور، والأعمى والبصير، والحلو والحامض،

MOSTAFALADAWY.COM

والذكر والأنثى، إلى غير ذلك، فهو أيضًا الذي خلق العذب شديد العذوبة، والمالح شديد الملوحة والمرارة.

* ومنها: التذكير بأنه، وكما أنه لا يستوي العذب الفرات مع الملح الأجاج، فكذلك لا يستوي المهتدي مع الضال، ولا المؤمن مع الكافر، ولا الصالح مع الطالح، والله أعلم.

❁ ❁ ❁

س: ما المراد بقوله تعالى: ﴿وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا﴾؟

ج: من هذه الحلية اللؤلؤ والمرجان كما قال تعالى: ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ ﴿٢٢﴾﴾ [الرحمن: ٢٢].

❁ ❁ ❁

س: وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِنْ كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾﴾؟

ج: المعنى إجمالًا، وما يستوي البحران (وهما البحر والنهر) في طعومهما وعذوبتهما وملوحتهما، فهذه الأنهار ذات مياهٍ عذبة شديدة العذوبة تستسيغها النفوس وتحبها، وهذا الآخر ملحٌ مرٌّ شديد الملوحة والمرارة، ومن هذا وذلك نأكل اللحم الطري، وهو السمك وتستخرج حلية تلبسها، ومنها اللؤلؤ والمرجان، وترى من قدرة الله ﷻ أن المياه تحمل هذه السفن الهائلة العظيمة، ولو شاء الله لأغرقها فترى السفن العظيمة تمخر المياه تشقها، وذلك عند ركوبكم فيها في أسفاركم، لعلكم تقدموا شكرًا لله على تيسيره هذه لكم، وبنحو

Mostafawy.com

هذا قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: وما يعتدل البحران فيستويان؛ أحدهما عذب فرات، والفرات: هو أعذب العذب، وهذا ملح أجاج يقول: والآخر منهما ملح أجاج وذلك هو ماء البحر الأخضر، والأجاج: المر وهو أشد المياه ملوحة.

وأورد بسندٍ حسن عن قتادة قوله: ﴿وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ﴾ والأجاج: المر.

وقوله: ﴿وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا﴾ يقول: ومن كل البحار تأكلون لحمًا طريًّا، وذلك السمك من عذبهما الفرات وملحهما الأجاج ﴿وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا﴾ يعني: الدر والمرجان تستخرجونها من الملح الأجاج، وقد بيَّنا قبل وجه ﴿وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً﴾ وأنما يستخرج من الملح، فيما مضى بما أغنى عن إعادته. ﴿وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ﴾ يقول تعالى ذكره: وترى السفن في كل تلك البحار مواخر تمخر الماء بصدورها، وذلك خرقها إياه إذا مرت واحدتها ماخرة، يقال منه: مَخَرت تَمْخُر وتمخَر مخرًا، وذلك إذا شقت الماء بصدورها.

وأورد بسندٍ حسن عن قتادة قوله: ﴿وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا﴾ أي: منهما جميعًا ﴿وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا﴾ هذا اللؤلؤ ﴿وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ﴾ فيه السفن مقبلة ومدبرة بريح واحدة.

وقوله: ﴿لِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ﴾ يقول: لتطلبوا بركوبكم في هذه البحار في الفلك من معايشكم، ولتتصرفوا فيها في تجاراتكم، وتشكروا الله على تسخيره ذلك لكم، وما رزقكم منه من طيبات الرزق وفاخر الحلي.

Mostafa Adly .com

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى منبها على قدرته العظيمة في خلقه الأشياء المختلفة: وخلق البحرين العذب الزلال، وهو هذه الأنهار السارحة بين الناس، من كبار وصغار، بحسب الحاجة إليها في الأقاليم والأمصار، والعمران والبراري والقفار، وهي عذبة سائغ شرابها لمن أراد ذلك، ﴿وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ﴾، وهو البحر الساكن الذي تسير فيه السفن الكبار، وإنما تكون مالحة زُعَاقًا مُرَّة، ولهذا قال: ﴿وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ﴾، أي: مُرّ.

ثم قال: ﴿وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا﴾ يعني: السمك، ﴿وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا﴾، كما قال تعالى: ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ ۝٢٢ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٢٣﴾ [الرحمن: ٢٢، ٢٣].

وقوله: ﴿وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ﴾ أي: تمخره وتشقه بحيزومها، وهو مقدمها المُسَنَّم الذي يشبه جؤجؤ الطير -وهو: صدره.

وقال مجاهد: تمخر الريح السفن، ولا يمخر الريح من السفن إلا العظام.

وقوله: ﴿لِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ﴾ أي: بأسفاركم بالتجارة، من قطر إلى قطر، وإقليم إلى إقليم، ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ أي تشكرون ربكم على تسخيره لكم هذا الخلق العظيم، وهو البحر، تتصرفون فيه كيف شئتم، وتذهبون أين أردتم، ولا يمتنع عليكم شيء منه، بل بقدرته قد سخر لكم ما في السموات وما في الأرض، الجميع من فضله ومن رحمته.

❁ ❁ ❁

mostafawy.com

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ يُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ كُلٌّ يَجۡرِي لِأَجَلٖ مُّسَمًّىۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ لَهُ ٱلۡمُلۡكُۚ وَٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمۡلِكُونَ مِن قِطۡمِيرٍ ١٣ ﴾.

ج: المعنى -والله تعالى أعلم-: يُدخل الليل في النهار، وذلك عندما يقصر الليل ويطول النهار ويدخل النهار في الليل، فيأخذ الليل جزءًا من النهار، وذلك عندما يقصر النهار ويطول الليل، وسخر الشمس والقمر يجريان لأجل قد حدَّده الله ﷻ ذلكم الله ربكم وحده لا شريك له هو المعبود وحده لا رب غيره، ولا إله سواه، والذين يعبدون من دونه ما يملكون قشرة النواة الخفيفة.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: يدخل الليل في النهار وذلك ما نقص من الليل أدخله في النهار فزاده فيه، ويولج النهار في الليل وذلك ما نقص من أجزاء النهار زاد في أجزاء الليل فأدخله فيها.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة قوله: ﴿ يُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِ ﴾ زيادة هذا في نقصان هذا، ونقصان هذا في زيادة هذا.

وقوله: ﴿وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ كُلٌّ يَجۡرِي لِأَجَلٖ مُّسَمًّىۚ ﴾ يقول: وأجرى لكم الشمس والقمر نعمة منه عليكم، ورحمة منه بكم؛ لتعلموا عدد السنين والحساب، وتعرفوا الليل من النهار.

وقوله: ﴿كُلٌّ يَجۡرِي لِأَجَلٖ مُّسَمًّىۚ ﴾ يقول: كل ذلك يجري لوقت معلوم.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة قوله: ﴿وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ كُلٌّ يَجۡرِي

Mostafa Adwy.com

لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ أجل معلوم، وحد لا يقصر دونه ولا يتعداه.

وقوله: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ﴾ يقول: الذي يفعل هذه الأفعال معبودكم أيها الناس الذي لا تصلح العبادة إلا له، وهو الله ربكم.

وقوله: ﴿لَهُ ٱلْمُلْكُ ﴾ يقول تعالى ذكره: له الملك التام الذي لا شيء إلا وهو في ملكه وسلطانه.

وقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ ﴾ يقول تعالى ذكره: والذين تعبدون أيها الناس من دون ربكم الذي هذه الصفة التي ذكرها في هذه الآيات الذي له الملك الكامل، الذي لا يشبهه ملك، صفته ﴿مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ ﴾ يقول: ما يملكون قشر نواة فما فوقها.

وأورد من عدة وجوهٍ أن القطمير قشر النواة.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ﴾ أي: هذا الذي من صنعه ما تقرر هو الخالق المدبر والقادر المقتدر فهو الذي يعبد ﴿وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ ﴾ يعني الأصنام ﴿مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴾ أي لا يقدرون عليه ولا على خلقه والقطمير : القشرة الرقيقة البيضاء التي بين الثمرة والنواة قاله أكثر المفسرين.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وهذا أيضًا من قدرته التامة وسلطانه العظيم، في تسخيره الليل بظلامه والنهار بضيائه، ويأخذ من طول هذا فيزيده على قصر هذا فيعتدلان. ثم يأخذ من هذا في هذا، فيطول هذا ويقصر هذا، ثم يتقارضان صيفًا وشتاء، ﴿وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ﴾ أي: والنجوم السيارات، والثوابت الثاقبات بأضوائهن أجرام

السموات، الجميع يسيرون بمقدار معين، وعلى منهاج مقنن محرر، تقديرًا من عزيز عليم.

﴿كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ أي: إلى يوم القيامة.

﴿ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ﴾ أي: الذي فعل هذا هو الرب العظيم، الذي لا إله غيره، ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ﴾ أي: من الأنداد والأصنام التي هي على صورة من تزعمون من الملائكة المقربين، ﴿مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ﴾.

قال ابن عباس، ومجاهد، وعِكْرِمَة، وعطاء وعطية العَوْفي، والحسن، وقتادة وغيرهم: القطمير: هو اللفافة التي تكون على نواة التمرة، أي: لا يملكون من السموات والأرض شيئًا، ولا بمقدار هذا القطمير.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴿١٤﴾﴾؟

ج: المعنى – والله أعلم –: إذا سألتم يا أهل الشرك هذه الآلهة التي عبدتموها مع الله ﷻ ما سمعت دعاؤكم ولا فهمت ولا وعت، وإن قُدِّر، وأنها سمعت بما يقذفه الله فيها من قدرة على السماع إن شاء ما أجابتكم إلى طلبكم ثم يوم القيامة تكفر هذه الآلهة بعبادتكم لها وتنكر عبادتكم إياها وكونها كانت شريكة لله ﷻ، ولا يخبرك بحقيقة الأمور، وحقيقة هذه الآلهة وإلى ماذا سيؤول إليه أمر هذه الآلهة وعابديها.

قال الطبري: قوله: ﴿إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ﴾.

يقول تعالى ذكره: إن تدعوا أيها الناس هؤلاء الآلهة التي تعبدونها من دون

الله لا يسمعوا دعاءكم؛ لأنها جماد لا تفهم عنكم ما تقولون: ﴿وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ﴾ يقول: ولو سمعوا دعاءكم إياهم، وفهموا عنكم أنها قولكم، بأن جعل لهم سمعًا يسمعون به، ما استجابوا لكم؛ لأنها ليست ناطقة، وليس كل سامع قولا متيسرًا له الجواب عنه، يقول تعالى ذكره للمشركين به الآلهة والأوثان: فكيف تعبدون من دون الله من هذه صفته، وهو لا نفع لكم عنده، ولا قدرة له على ضركم، وتدعون عبادة الذي بيده نفعكم وضركم، وهو الذي خلقكم وأنعم عليكم.

وأورد بإسناد حسن عن قتادة قوله: ﴿إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ﴾ أي: ما قبلوا ذلك عنكم، ولا نفعوكم فيه.

وقوله: ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ﴾ يقول تعالى ذكره للمشركين من عبدة الأوثان: ويوم القيامة تتبرأ آلهتكم التي تعبدونها من دون الله من أن تكون كانت لله شريكًا في الدنيا.

وأورد بإسناد حسن عن قتادة: ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ﴾ إياهم ولا يرضون ولا يقرون به.

وقوله: ﴿وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ يقول تعالى ذكره: ولا يخبرك يا محمد عن آلهة هؤلاء المشركين وما يكون من أمرها وأمر عَبَدَتها يوم القيامة؛ من تبرئها منهم، وكفرها بهم، مثل ذي خبرة بأمرها وأمرهم، وذلك الخبير هو الله الذي لا يخفى عليه شيء كان أو يكون سبحانه.

وأورد بإسناد حسن عن قتادة قوله: ﴿وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ والله هو الخبير أنه سيكون هذا منهم يوم القيامة.

MOSTAFAADEL.COM

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

ثم قال: ﴿إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ﴾ يعني: الآلهة التي تدعونها من دون الله لا يسمعون دعاءكم؛ لأنها جماد لا أرواح فيها ﴿وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ﴾ أي: لا يقدرون على ما تطلبون منها، ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ﴾، أي: يتبرؤون منكم، كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُو مِن دُونِ اللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَن دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ ﴿٥﴾ وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ ﴿٦﴾﴾ [الأحقاف: ٥، ٦]، وقال: ﴿وَاتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِّيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا ﴿٨١﴾ كَلَّا ۚ سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا ﴿٨٢﴾﴾ [مريم: ٨١، ٨٢].

وقوله: ﴿وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ أي: ولا يخبرك بعواقب الأمور ومآلها وما تصير إليه، مثلُ خبير بها.

قال قتادة: يعني نفسه تبارك وتعالى، فإنه أخبر بالواقع لا محالة.

وقال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ﴾ أي: إن تستغيثوا بهم في النوائب لا يسمعوا دعاءكم؛ لأنها جمادات لا تبصر ولا تسمع ﴿وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ﴾ إذ ليس كل سامع ناطقًا. وقال قتادة: المعنى لو سمعوا لم ينفعوكم وقيل: أي لو جعلنا لهم عقولًا وحياة فسمعوا دعاءكم لكانوا أطوع لله منكم ولما استجابوا لكم على الكفر ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ﴾ أي يجحدون أنكم عبدتموهم ويتبرءون منكم، ثم يجوز أن يرجع هذا إلى المعبودين مما يعقل كالملائكة والجن والأنبياء والشياطين أي يجحدون أن يكون ما فعلتموه حقًّا وأنهم أمروكم بعبادتهم كما أخبر عن عيسى بقوله: ﴿مَا يَكُونُ لِيَ أَنْ أَقُولَ مَا

لَيْسَ لِي بِحَقٍّ ﴾ [المائدة: ١١٦] ويجوز أن يندرج فيه الأصنام أيضًا أي يحييها الله حتى تخبر أنها ليست أهلًا للعبادة ﴿وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ هو الله جل وعز أي لا أحد أخبر بخلق الله من الله فلا ينبئك مثله في عمله

قال الله تعالى:

﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ﴿١٥﴾ إِن يَشَأۡ يُذۡهِبۡكُمۡ وَيَأۡتِ بِخَلۡقٖ جَدِيدٖ ﴿١٦﴾ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٖ ﴿١٧﴾ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٞ وِزۡرَ أُخۡرَىٰۚ وَإِن تَدۡعُ مُثۡقَلَةٌ إِلَىٰ حِمۡلِهَا لَا يُحۡمَلۡ مِنۡهُ شَيۡءٞ وَلَوۡ كَانَ ذَا قُرۡبَىٰٓۗ إِنَّمَا تُنذِرُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُم بِٱلۡغَيۡبِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَۚ وَمَن تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفۡسِهِۦۚ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلۡمَصِيرُ ﴿١٨﴾ وَمَا يَسۡتَوِي ٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡبَصِيرُ ﴿١٩﴾ وَلَا ٱلظُّلُمَٰتُ وَلَا ٱلنُّورُ ﴿٢٠﴾ وَلَا ٱلظِّلُّ وَلَا ٱلۡحَرُورُ ﴿٢١﴾ وَمَا يَسۡتَوِي ٱلۡأَحۡيَآءُ وَلَا ٱلۡأَمۡوَٰتُۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُسۡمِعُ مَن يَشَآءُۖ وَمَآ أَنتَ بِمُسۡمِعٖ مَّن فِي ٱلۡقُبُورِ ﴿٢٢﴾ إِنۡ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ ﴿٢٣﴾ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗاۚ وَإِن مِّنۡ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٞ ﴿٢٤﴾ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدۡ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَبِٱلزُّبُرِ وَبِٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُنِيرِ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَخَذۡتُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۖ فَكَيۡفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٢٦﴾ ﴾

[فاطر: ١٥-٢٦]

MOSTAFABAKRY.com

س: وضح معنى ما يلي:

﴿ٱلْفُقَرَآءُ - ٱلْحَمِيدُ - يُذْهِبْكُمْ - بِعَزِيزٍ - وَلَا تَزِرُ - وَازِرَةٌ - وِزْرَ أُخْرَىٰ - مُثْقَلَةٌ - حِمْلِهَا - ذَا قُرْبَىٰ - بِٱلْغَيْبِ - تَزَكَّىٰ - ٱلْمَصِيرُ - ٱلْغَرُورُ - خَلَا - بِٱلْبَيِّنَٰتِ - ٱلزُّبُرِ - ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ - فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾؟

ج:

الكلمة	معناها
﴿ٱلْفُقَرَآءُ﴾	المحتاجون
﴿ٱلْحَمِيدُ﴾	المحمود على نعمه
﴿يُذْهِبْكُمْ﴾	يُميتكم – يهلككم
﴿بِعَزِيزٍ﴾	بشاق – بعسير – بمعجزٍ لله – بممتنع – بصعب
﴿وَلَا تَزِرُ﴾	ولا تحمل
﴿وَازِرَةٌ﴾	نفسٌ حاملةٌ
﴿وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾	حمل نفس أخرى – ذنوب نفس أخرى
﴿مُثْقَلَةٌ﴾	نفس أثقلتها الذنوب، وكثرت عليها ذنوبها
﴿حِمْلِهَا﴾	حملها من الذنوب والآثام
﴿ذَا قُرْبَىٰ﴾	قريبًا (كالأب والأخ والعم ونحوهم)
﴿بِٱلْغَيْبِ﴾	وهم لا يرون الله – في حال غيابهم عن الناس
﴿تَزَكَّىٰ﴾	تطهر من الشرك والذنوب والمعاصي والبدع
﴿ٱلْمَصِيرُ﴾	المرجع والمآب (يوم القيامة)

mostafaalaw.com

﴿ٱلْغُرُورُ﴾	الحرُّ
﴿خَلَا﴾	مضى – سلف وكان
﴿بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾	بالحجج الواضحات
﴿ٱلزُّبُرِ﴾	الكتب المنزلة
﴿ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ﴾	الكتاب الواضح البين الظاهر
﴿فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾	كيف كان إنكاري عليهم أي لقد كان إنكاري عليهم شديدًا، وذلك أني عاقبتهم عقابًا شديدًا على صنيعهم

❁ ❁ ❁

س: وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى: ﴿۞يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾﴾.

ج: هذا – والله أعلم – إخبارٌ ونداء للناس مفاده يا أيها الناس أنتم المحاويج إلى الله تحتاجون إليه في كل شيء، وفي كل أمر، لا غنى لكم عنه، وهو سبحانه الغني عنكم لا يحتاج إليكم، وكذا طاعتكم وعبادتكم وتقواكم لا يزيد ذلك في ملك الله شيئًا.

ثم هو ذو النعم، فليس غنيًّا فحسب بل هو المنعم المحمود على نعمه وآلائه وإحسانه.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: يا أيها الناس أنتم أولو الحاجة والفقر إلى ربكم فإياه فاعبدوا، وفي رضاه فسارعوا، يغنكم من فقركم، وتُنْجِح لديه حوائجكم ﴿وَٱللَّهُ

MOSTAFALAZIM.COM

هُوَ ٱلْغَنِيُّ ﴾ عن عبادتكم إياه وعن خدمتكم، وعن غير ذلك من الأشياء؛ منكم ومن غيركم ﴿ ٱلْحَمِيدُ ﴾ يعني: المحمود على نعمه؛ فإن كل نعمة بكم وبغيركم فمنه، فله الحمد والشكر بكل حال.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يخبر تعالى بغنائه عما سواه، وبافتقار المخلوقات كلها إليه، وتذللها بين يديه، فقال: ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ أي: هم محتاجون إليه في جميع الحركات والسكنات، وهو الغني عنهم بالذات؛ ولهذا قال: ﴿ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ ﴾ أي: هو المتفرد بالغنى وحده لا شريك له، وهو الحميد في جميع ما يفعله ويقوله، ويقدره ويشرعه.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ أي المحتاجون إليه في بقائكم وكل أحوالكم. الزمخشري: «فإن قلت لم عرف الفقراء؟ قلت : قصد بذلك أن يريهم أنهم لشدة افتقارهم إليه هم جنس الفقراء وإن كانت الخلائق كلهم مفتقرين إليه من الناس وغيرهم لأن الفقر مما يتبع الضعف وكلما كان الفقير أضعف كان أفقر وقد شهد الله سبحانه على الإنسان بالضعف في قوله: ﴿ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ﴿٢٨﴾ ﴾ [النساء: ٢٨]، وقال: ﴿ ۞ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ﴾ [الروم: ٥٤] ولو نكَّرَ لكان المعنى : أنتم بعض الفقراء فإن قلت : قد قوبل (الفقراء) بـ(الغني) فما فائدة (الحميد)؟ قلت: لما أثبت فقرهم إليه وغناه عنهم وليس كل غني نافعا بغناه إلا إذا كان الغني جوادًا منعمًا وإذا جاد وأنعم حمده المنعم عليهم واستحق عليهم الحمد-ذكر (الحميد) ليدل به على أنه الغني

النافع بغناه خلقه الجواد المنعم عليهم، المستحق بإنعامه عليهم أن يحمدوه.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٦﴾ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿١٧﴾﴾.

ج: المعنى إن يشأ ربنا سبحانه أن يهلككم ويُميتكم ويأت بخلق جديد مطيع له لذهب بكم ولأهلككم، وما هذا الصنيع عليه بشاقٍّ ولا بعسير.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: إن يشأ يهلككم أيها الناس ربكم؛ لأنه أنشأكم من غير ما حاجة به إليكم ﴿وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٩﴾﴾ يقول: ويأت بخلق سواكم يطيعونه ويأتمرون لأمره وينتهون عمَّا نهاهم عنه.

وقوله: ﴿وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿١٧﴾﴾ يقول: وما إذهابكم والإتيان بخلق سواكم على الله بشديد، بل ذلك عليه يسير سهل، يقول: فاتقوا الله أيها الناس، وأطيعوه قبل أن يفعل بكم ذلك.

❁ ❁ ❁

س: معلوم أن النبي ﷺ أرسل للعالمين نذيرًا فما توجيه قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ ...﴾؟

ج: المراد إنما ينتفع بالإنذار من كان يخشى ربه بالغيب، والله أعلم.

❁ ❁ ❁

س: لأهل العلم قولان في تفسير قوله تعالى: ﴿يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ﴾ وضحهما؟

MOSTAFAALDOW.COM

ج: أحد القولين: أنهم يخشون ربهم وهم لا يرونه.

الثاني: أنهم أيضًا يخشون ربهم في حال غيابهم عن الناس. والله أعلم.

❁ ❁ ❁

س: وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۗ إِنَّمَا تُنذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ ۚ وَمَن تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِ ۚ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴿١٨﴾﴾.

ج: المعنى إجمالًا، والله أعلم: وصف لبعض ما يكون يوم القيامة فهنالك نفوس (بشرٌ وجنٌّ) أثقلتهم ذنوبهم، كانوا قد أذنبوا في دنياهم ذنوبًا عظيمة، أتوا بها يوم القيامة يحملونها على ظهورهم كما قال تعالى: ﴿وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ ۚ﴾ [الأنعام: ٣١] فهذه الذنوب تثقل هذه الأنفس وترهقها ولا تحمل نفسٌ حمل نفس أخرى، ولا تخفف عنها من أحمالها وإن دعت نفسٌ مثقلة بالذنوب نفسًا أخرى لحمل شيء من أوزارها ما أجابتها ولو كان المدعو قريبًا لمن دعاه، فإنه يفرُّ منه كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴿٣٧﴾﴾ [عبس: ٣٤-٣٧].

أما قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ ۚ﴾ فحاصله أنك يا رسول الله تنذر القوم كلهم، ولكن المنتفعون بالذكرى هم الذين يخافون ربهم وهم لا يرونه، وكذلك يخشونه إذا ابتعدوا عن أعين الناس، وأقاموا الصلاة حافظوا على أدائها في أوقاتها.

أما قوله تعالى: ﴿وَمَن تَزَكَّىٰ﴾ أي: ومن تطهر من الشرك والذنوب والمعاصي والآثام، مقلعًا عنها مستغفرًا منها فإن تطهره لنفسه والله غنيٌّ عن

العباد وأعمالهم، وإنما المرجع والمآب إلى الله ويجازي كلًّا بعمله.

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ يقول تعالى ذكره: ولا تحمل آثمة إثم أخرى غيرها ﴿وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ﴾ يقول تعالى: وإن تسأل ذاتُ ثِقَل من الذنوب من يحمل عنها ذنوبها وتطلب ذلك لم تجد من يحمل عنها شيئًا منها ولو كان الذي سألته ذا قرابة من أب أو أخ.

وأورد بإسناد حسن عن قتادة: ﴿وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا﴾ إلى ذنوبها ﴿لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ﴾ أي: قريب القرابة منها، لا يحمل من ذنوبها شيئًا، ولا تحمل على غيرها من ذنوبها شيئًا ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾.

وقوله: ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: إنما تنذر يا محمد الذين يخافون عقاب الله يوم القيامة من غير معاينة منهم لذلك، ولكن لإيمانهم بما أتيتهم به، وتصديقهم لك فيما أنبأتهم عن الله، فهؤلاء الذين ينفعهم إنذارك ويتعظون بمواعظك، لا الذين طبع الله على قلوبهم فهم لا يفقهون.

وقوله: ﴿وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ يقول: وأدوا الصلاة المفروضة بحدودها على ما فرضها الله عليهم.

وقوله: ﴿وَمَن تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِۦ﴾ يقول تعالى ذكره: ومن يتطهر من دنس الكفر والذنوب بالتوبة إلى الله، والإيمان به، والعمل بطاعته. فإنما يتطهر لنفسه، وذلك أنه يثيبها به رضا الله، والفوز بجنانه، والنجاة من عقابه الذي

أعده لأهل الكفر به.

وقوله: ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ﴾ يقول: وإلى الله مصير كل عامل منكم أيها الناس، مؤمنكم وكافركم، وبركم وفاجركم، وهو مجازٍ جميعكم بما قدم من خير وشر على ما أهل منه.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ أي: يوم القيامة، ﴿وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا﴾ أي: وإن تدع نفس مثقلة بأوزارها إلى أن تُسَاعَد على حمل ما عليها من الأوزار أو بعضه، ﴿لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ﴾، أي: ولو كان قريبًا إليها، حتى ولو كان أباها أو ابنها، كل مشغول بنفسه وحاله.

ثم قال: ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ أي: إنما يتعظ بما جئت به أولو البصائر والنُّهى، الخائفون من ربهم، الفاعلون ما أمرهم به، ﴿وَمَن تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِۦ﴾ أي: ومَنْ عمل صالحًا فإنما يعود نفعه على نفسه، ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ﴾ أي: وإليه المرجع والمآب، وهو سريع الحساب، وسيجزي كل عامل بعمله، إن خيرًا فخير، وإن شرًّا فشر.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقال الفضيل بن عياض: هي المرأة تلقى ولدها فتقول: يا ولدي! ألم يكن بطني لك وعاء، ألم يكن ثدي لك سقاء، ألم يكن حجري لك وطاء فيقول: بلى يا أماه فتقول: يا بني قد أثقلتني ذنوبي فاحمل عني منها ذنبًا واحدًا فيقول: إليك عني يا أماه فإني بذنبي عنك مشغول.

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ﴾ أي إنما يقبل إنذارك من

Mostafa.com

يخشى عقاب الله تعالى وهو كقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكْرَ وَخَشِيَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ﴾ [يس: ١١].

قوله تعالى: ﴿وَمَن تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِۦ﴾ أي من اهتدى فإنما يهتدي لنفسه وقرئ: «**ومن ازكى فإنما يزكى لنفسه**» ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ﴾ أي إليه مرجع جميع الخلق.

س: وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ﴿١٩﴾ وَلَا ٱلظُّلُمَٰتُ وَلَا ٱلنُّورُ ﴿٢٠﴾ وَلَا ٱلظِّلُّ وَلَا ٱلْحَرُورُ ﴿٢١﴾ وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَحْيَآءُ وَلَا ٱلْأَمْوَٰتُ إِنَّ ٱللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَآءُ وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي ٱلْقُبُورِ ﴿٢٢﴾ إِنْ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ ﴿٢٣﴾﴾.

ج: هذا مَثَلٌ ضربه الله ﷻ للكافر والمؤمن، ولما هما عليه ولما يؤول إليه أمرهما يوم القيامة، وكذا لحالهم عند تبليغهم أمر الله ﷻ، وأمر رسوله ﷺ.

* فكما أنه لا يستوي في الدنيا الأعمى الذي فقد بصره مع ذي العينين في إبصار الطريق ورؤيته.

** فكذا لا يستوي أعمى البصيرة، الذي أعمى الله قلبه عن الإيمان مع ذي البصيرة الذي بصرَّه الله بالإيمان وهداه ووفقه لسلوكه.

وكما أن الظلمات لا تستوي مع النور.

فكذلك لا تستوي ظلمات الكفر مع نور الإيمان والهداية.

وكما أنه لا يستوي الظل مع الحر.

فكذلك لا تستوي الجنة مع النار.

وكما أنه لا يستوي الحي مع الميت.

فكذا لا يستوي المؤمن مع الكافر.

MostafaDev.com

قال تعالى: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾ [الأنعام: ١٢١].

وقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَاءُ﴾ أي: يُسمعه ما يهتدي به ويوفقه له، وما أنت بمسمع من في القبور، حاصل معناه أنك لن تستطيع هداية أحدٍ في حكم الميت، بل هو ميت القلب فما أنت إلا منذر تحذر الناس من عاقبة ما هم عليه، ومن سوء ما أُعِدَّ لهم، وبنحو هذا وليس لك من أمر هدايتهم (هداية التوفيق) من شيء، قال أهل العلم:

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ﴾ عن دين الله الذي ابتعث به نبيه محمدًا ﷺ ﴿وَالْبَصِيرُ﴾ الذي قد أبصر فيه رشده؛ فاتبع محمدًا وصدقه، وقبل عن الله ما ابتعثه به ﴿وَلَا الظُّلُمَاتُ﴾ يقول: وما تستوي ظلمات الكفر ونور الإيمان ﴿وَلَا الظِّلُّ﴾ قيل: ولا الجنة ﴿وَلَا الْحَرُورُ﴾ قيل: النار، كأن معناه عندهم: وما تستوي الجنة والنار، والحرور بمنزلة السموم، وهي الرياح الحارة. وذكر أبو عبيدة معمر بن المثنى، عن رؤبة بن العجاج، أنه كان يقول: الحرور بالليل والسموم بالنهار. وأما أبو عبيدة فإنه قال: الحرور في هذا الموضع والنهار مع الشمس، وأما الفراء فإنه كان يقول: الحرور يكون بالليل والنهار، والسموم لا يكون بالليل إنما يكون بالنهار.

والقول في ذلك عندي: أن الحرور يكون بالليل والنهار، غير أنه في هذا الموضع بأن يكون كما قال أبو عبيدة: أشبه مع الشمس لأن الظل إنما يكون في يوم شمس، فذلك يدل على أنه أريد بالحرور: الذي يوجد في حال وجود

الظل.

وقوله: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ﴾ يقول: وما يستوي الأحياء القلوب بالإيمان بالله ورسوله، ومعرفة تنزيل الله، والأموات القلوب لغلبة الكفر عليها، حتى صارت لا تعقل عن الله أمره ونهيه، ولا تعرف الهدى من الضلال، وكل هذه أمثال ضربها الله للمؤمن والإيمان والكافر والكفر.

وأورد الطبري بإسناد حسن عن قتادة قوله: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى ...﴾ الآية، خلقًا فضل بعضه على بعض؛ فأما المؤمن فعبد حي الأثر، حي البصر، حي النية، حي العمل، وأما الكافر فعبد ميت؛ ميت البصر، ميت القلب، ميت العمل.

وأورد بإسناد صحيح عن ابن زيد، في قوله: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ ﴿١٩﴾ وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ ﴿٢٠﴾ وَلَا الظِّلُّ وَلَا الْحَرُورُ ﴿٢١﴾ وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ﴾ قال: هذا مَثَلٌ ضربه الله؛ فالمؤمن بصير في دين الله، والكافر أعمى، كما لا يستوي الظل ولا الحرور ولا الأحياء ولا الأموات، فكذلك لا يستوي هذا المؤمن الذي يبصر دينه ولا هذا الأعمى، وقرأ: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ﴾ [الأنعام: ١٢٢] قال: الهدى الذي هداه الله به ونور له، هذا مَثَلٌ ضربه الله لهذا المؤمن الذي يبصر دينه، وهذا الكافر الأعمى فجعل المؤمن حيًّا وجعل الكافر ميتًا ميت القلب ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ﴾ قال: هديناه إلى الإسلام كمن مثله في الظلمات أعمى القلب وهو في الظلمات، أهذا وهذا سواء؟

قال الطبري:

وقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُسۡمِعُ مَن يَشَآءُۖ وَمَآ أَنتَ بِمُسۡمِعٖ مَّن فِي ٱلۡقُبُورِ ٢٢﴾ يقول تعالى ذكره: كما لا يقدر أن يسمع من في القبور كتاب الله فيهديهم به إلى سبيل الرشاد، فكذلك لا يقدر أن ينتفع بمواعظ الله وبيان حججه من كان ميت القلب من أحياء عباده، عن معرفة الله، وفهم كتابه وتنزيله، وواضح حُججه.

وأورد بإسناد حسن عن سعيد، عن قتادة: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُسۡمِعُ مَن يَشَآءُۖ وَمَآ أَنتَ بِمُسۡمِعٖ مَّن فِي ٱلۡقُبُورِ ٢٢﴾ كذلك الكافر لا يسمع، ولا ينتفع بما يسمع.

وقوله: ﴿إِنۡ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: ما أنت إلا نذير تنذر هؤلاء المشركين بالله الذين طبع الله على قلوبهم، ولم يرسلك ربك إليهم إلا لتبلغهم رسالته، ولم يكلفك من الأمر ما لا سبيل لك إليه، فأما اهتداؤهم وقبولهم منك ما جئتهم به فإن ذلك بيد الله لا بيدك ولا بيد غيرك من الناس؛ فلا تذهب نفسك عليهم حسرات إن هم لم يستجيبوا لك.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى: كما لا تستوي هذه الأشياء المتباينة المختلفة، كالأعمى والبصير لا يستويان، بل بينهما فرق وبون كثير، وكما لا تستوي الظلمات ولا النور ولا الظل ولا الحرور، كذلك لا تستوي الأحياء ولا الأموات، وهذا مَثَلٌ ضربه الله للمؤمنين وهم الأحياء، وللكافرين وهم الأموات، كقوله تعالى: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيۡتٗا فَأَحۡيَيۡنَٰهُ وَجَعَلۡنَا لَهُۥ نُورٗا يَمۡشِي بِهِۦ فِي ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ لَيۡسَ بِخَارِجٖ مِّنۡهَاۚ﴾ [الأنعام: ١٢٢]، وقال تعالى: ﴿۞ مَثَلُ ٱلۡفَرِيقَيۡنِ كَٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡأَصَمِّ وَٱلۡبَصِيرِ وَٱلسَّمِيعِۚ هَلۡ يَسۡتَوِيَانِ مَثَلًاۚ﴾ [هود: ٢٤] فالمؤمن سميع بصير في نور يمشي، على صراط مستقيم في الدنيا والآخرة؛ حتى يستقر به الحال في الجنات ذات

الظلال والعيون، والكافر أعمى أصم، في ظلمات يمشي، لا خروج له منها، بل هو يتيه في غَيِّه وضلاله في الدنيا والآخرة؛ حتى يفضي به ذلك إلى الحرور والسموم والحميم، ﴿وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ ﴿٤٣﴾ لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ﴿٤٤﴾﴾ [الواقعة: ٤٣، ٤٤].

وقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَآءُ﴾ أي: يهديهم إلى سماع الحجة وقبولها والانقياد لها ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِى ٱلْقُبُورِ﴾ أي: كما لا ينتفع الأموات بعد موتهم وصيرورتهم إلى قبورهم، وهم كفار بالهداية والدعوة إليها، كذلك هؤلاء المشركون الذين كُتِب عليهم الشقاوة لا حيلةَ لك فيهم، ولا تستطيع هدايتهم.

﴿إِنْ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ﴾ أي: إنما عليك البلاغ والإنذار، والله يضل من يشاء ويهدي من يشاء.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ﴾ أي الكافر والمؤمن والجاهل والعالم مثل: ﴿قُل لَّا يَسْتَوِى ٱلْخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ﴾ [المائدة: ١٠٠].

﴿وَلَا ٱلظُّلُمَٰتُ وَلَا ٱلنُّورُ﴾ قال الأخفش سعيد: (لا) زائدة والمعنى ولا الظلمات والنور ولا الظل والحرور. قال الأخفش: والحرور لا يكون إلا مع شمس النهار والسموم يكون بالليل وقيل بالعكس. وقال رؤبة بن العجاج: الحرور تكون بالنهار خاصة والسموم يكون بالليل خاصة حكاه المهدوي وقال الفراء: السموم لا يكون إلا بالنهار والحرور يكون فيهما. النحاس: وهذا أصح لأن الحرور فعول من الحر وفيه معنى التكثير أي الحر المؤذي.

قلت: وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة عن رَسول الله ﷺ قال: «**قالت النار ربِّ أكل بعضي بعضًا فأذن لي أتنفس فأذن لها بنفسين؛ نفس في الشتاء**

ونفس في الصيف فما وجدتم من برد أو زمهرير فمن نفس جهنم وما وجدتم من حرٍّ أو حرور فمن نفس جهنم»وروي من حديث الزهري عن سعيد عن أبي هريرة : «فما تجدون من الحر فمن سمومها وشدة ما تجدون من البرد فمن زمهريرها» وهذا يجمع تلك الأقوال وأن السموم والحرور يكون بالليل والنهار فتأمله وقيل : المراد بالظل والحرور الجنة والنار فالجنة ذات ظل دائم كما قال تعالى: ﴿أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا﴾ [الرعد: ٣٥] والنار ذات حرور وقال معناه السدي وقال ابن عباس : أي ظل الليل وحر السموم بالنهار. قطرب: الحرور الحر والظل البرد ﴿وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَحْيَآءُ وَلَا ٱلْأَمْوَٰتُ﴾ قال ابن قتيبة: الأحياء العقلاء والأموات الجهال. قال قتادة : هذه كلها أمثال أي كما لا تستوي هذه الأشياء كذلك لا يستوي الكافر والمؤمن ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَآءُ﴾ أي يسمع أولياءه الذين خلقهم لجنته ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِى ٱلْقُبُورِ﴾ أي الكفار الذين أمات الكفر قلوبهم أي كما لا تسمع من مات كذلك لا تسمع من مات قلبه.

وقال:

قوله تعالى: ﴿إِنْ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ﴾ أي رسول منذر فليس عليك إلا التبليغ ليس لك من الهدى شيء إنما الهدى بيد الله تبارك وتعالى.

❁ ❁ ❁

سماع الأموات

س: هل الموتى يسمعون؟

ج: أولًا: وقبل الإجابة على السؤال، فأنبِّه على أمرٍ ألا وهو أن الأموات وإن سمعوا لا ينتفعون بهذا السماع، لمجرد أنهم سمعوه أما إذا دعا لهم داعٍ،

MOSTAFAADAWY.COM

أو سأل لهم سائل، أو استغفر لهم مستغفر، فقد ينتفعون بذلك بإذن الله.

ثانيًا: اختلف أهل العلم في سماع الأموات على قولين:

القول الأول: أنهم لا يسمعون، وحجة أصحابه قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ ﴿٨٠﴾﴾ [النمل: ٨٠]، وقوله تعالى: ﴿وَمَا أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ﴾.

القول الثاني: أنهم يسمعون، ولكن لما أسلفت لا ينتفعون بذلك السماع، ومن حجج أصحاب هذا القول ما يلي:

أولًا: قصة القليب، قليب بدر لما أُلقي فيه أهل الشرك بعد قتلهم، كأبي جهل وعتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، والوليد بن عتبة وغير هؤلاء وخطاب الرسول لهم وقوله: «**يا عتبة بن ربيعة، يا شيبة بن ربيعة، يا أبا جهل بن هشام، يا فلان، يا فلان، أيسركم أنكم أطعتم الله ورسوله؟ فإنا قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقًّا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقًّا؟!**»، قال: فقال عمر: يا رسول الله، ما تكلّم أجساد لا أرواح لها، فقال رسول الله ﷺ: «**والذي نفس محمد بيده ما أنتم بأسمع لما أقول منهم**».

ولهذا الحديث طرق وألفاظ كثيرة[(١)].

ثانيًا: حديث أَنَس رضي الله عنه عن النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «**إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ وَتَوَلَّى وَذَهَبَ أَصْحَابُهُ حَتَّى إِنَّهُ لَيَسْمَعُ قَرْعَ نِعَالِهِمْ أَتَاهُ مَلَكَانِ فَأَقْعَدَاه...**» الحديث.

وفي رواية: «**إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ وَتَوَلَّى عَنْهُ أَصْحَابُهُ وَإِنَّهُ لَيَسْمَعُ قَرْعَ**

(١) انظر البخاري (٣٩٧٦)، و(٣٩٧٩)، و(٣٩٨٠، ٣٩٨١) ومسلم (٢٨٧٣) و(٢٨٧٤) و(٢٨٧٥)، وأحمد (١٥٩٢١، ١٥٩٢٤، ١١٦٠٩)، وغيرها كثير جدًّا.

نِعَالِهِمْ...» الحديث[١].

ثالثًا: استدلوا أيضًا بتسليم النبي ﷺ على أهل القبور، فكان إذا أتى المقبرة قال: «**السَّلَامُ عَلَيْكُمْ دَارَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللهُ بِكُمْ لَاحِقُونَ**»[٢] إلى غير ذلك من الأحاديث في هذا الصدد.

واستدلوا أيضًا بما أخرجه مسلم[٣] من حديث عمرو بن العاص موقوفًا عليه قال وهو في سياقة الموت فَبَكَى بكَاءً طَوِيلًا وَحَوَّلَ وَجْهَهُ إِلَى الْجِدَارِ فَقَالَ: فَإِذَا دَفَنْتُمُونِي فَشُنُّوا عَلَيَّ التُّرَابَ شَنًّا ثُمَّ أَقِيمُوا حَوْلَ قَبْرِي قَدْرَ مَا تُنْحَرُ جَزُورٌ وَيُقْسَمُ لَحْمُهَا حَتَّى أَسْتَأْنِسَ بِكُمْ، وَأَنْظُرَ مَاذَا أُرَاجِعُ بِهِ رُسُلَ رَبِّي».

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: ...وفيه أن الميت يسمع حينئذٍ من حول القبر.

وكذا استدلوا بأحاديث أُخر في أسانيد كثير منها فقال:

ووجَّه هؤلاء قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي ٱلْقُبُورِ﴾، وقوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ [النمل: ٨٠]، على أن المراد موتى القلوب وهم الكفار.

لكن أجاب الأولون على ذلك بما حاصله أن المشبَّه به يكون أقوى من المشبه، فإذا شبه الكافر بالميت في عدم سماعه فيكون الميت أقوى في عدم السماع، أي: أشد امتناعًا للسماع كما تقول فلانٌ أسدٌ، تشبهه بالأسد في شجاعته، فمعلوم أن الأسد أشد شجاعة.

لكن يُمكن أن يجاب على هذا بأن تشبيه الكافر بالميت إنما هو في عدم الاستفادة أي: أن المنفي هو سماع الاستفادة، والله أعلم.

---

(١) البخاري (١٣٧٤) ومسلم (٢٨٧٠).

(٢) مسلم (مع النووي ٣/ ١٣٧)، و(٧/ ٤٠).

(٣) مسلم (١٢١).

وعَلَى كل حال فالمسألة خلافية كما ترى وللعلماء فيها القولان لكن لا ينتفع الميت بما يدور حوله وبما يسمعه من كلام، اللهم إن كان استغفارًا أو دعاء، أو ما ورد فيه نصٌّ أم مجرد السماع، فلا انتفاع. والله أعلم.

❁ ❁ ❁

س: وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗاۚ وَإِن مِّنۡ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٞ ٢٤ ﴾؟

ج: المعنى – والله تعالى أعلم –: إنا أرسلناك رسولًا إلى الناس يا رسول الله ومعك الحق، بالقرآن، كذا أرسلناك وأرسالنا لك حق، بشيرًا لمن أطاع ربَّه ﷻ ووحده وعبده بالجنة، ونذيرًا لمن أشرك وعصى بالنار، وما من أمةٍ من الأمم قد تقدمت ومضت وسلفت إلا وقد كان فيها نذير، منذرٌ ومحذرٌ من غضب الله وعقابه ومنذرٌ من الشرك والعصيان.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول جل ثناؤه لنبيه محمد ﷺ: ﴿ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ ﴾ يا محمد ﴿بِٱلۡحَقِّ﴾ وهو الإيمان بالله وشرائع الدين التي افترضها على عباده ﴿بَشِيرٗا﴾ يقول: مبشرًا بالجنة من صدقك وقبل منك ما جئت به من عند الله من النصيحة ﴿وَنَذِيرٗاۚ﴾ تنذر الناس مَن كذبك ورد عليك ما جئت به من عند الله من النصيحة ﴿وَإِن مِّنۡ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٞ ﴾ يقول: وما من أمة من الأمم الدائنة بملة إلا خلا فيها من قبلك نذير ينذرهم بأسنا على كفرهم بالله.

وأورد بإسناد حسن عن قتادة: ﴿وَإِن مِّنۡ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٞ ﴾ كل أمة كان لها

MOSTAFAADAWY.COM

رسول.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗاۚ﴾ أي: بشيرًا للمؤمنين ونذيرًا للكافرين، ﴿وَإِن مِّنۡ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٞ﴾ أي: وما من أمة خلت من بني آدم إلا وقد بعث الله إليهم النُّذر، وأزاح عنهم العلل، كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٞۗ وَلِكُلِّ قَوۡمٍ هَادٍ ۝٧﴾ [الرعد: ٧]، وكما قال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ فَمِنۡهُم مَّنۡ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنۡهُم مَّنۡ حَقَّتۡ عَلَيۡهِ ٱلضَّلَٰلَةُۚ﴾ الآية [النحل: ٣٦]، والآيات في هذا كثيرة.

❁ ❁ ❁

س: هل هناك فارق بين الزبر والكتاب المنير؟

ج: قال كثيرٌ من أهل العلم: إنهما في هذا المقام بمعنى واحد، حاصله أن المراد الكتب التي أنزلها الله عليهم، وإنما قوله الكتاب المنير فريدٌ وصف للزبر كما تقول: طبتك باللحم واللحم الطيب، فالثاني بيانٌ للأول وإيضاح له.

أورد الطبري بإسناد حسن عن قتادة قال: ﴿بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَبِٱلزُّبُرِ﴾ أي الكتب، وقوله: ﴿وَبِٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُنِيرِ﴾ يقول: وجاءهم من الله الكتاب المنير لمن تأمله وتدبره أنه الحق.

وقال أيضًا: ﴿وَبِٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُنِيرِ﴾ يضعف الشيء وهو واحد.

قلت (مصطفى): بل وقال بعض أهل العلم: إن قوله: ﴿بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَبِٱلزُّبُرِ وَبِٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُنِيرِ﴾ ثلاث مسميات لشيء واحد وهو الكتاب الذي أنزل الله على رسوله (رسول كل أمة).

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

Mostafawy.com

﴿جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ أي بالمعجزات الظاهرات والشرائع الواضحات ﴿وَبِٱلزُّبُرِ﴾ أي: الكتب المكتوبة ﴿وَبِٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ﴾ أي الواضح وكرر الزبر والكتاب وهما واحدٌ لاختلاف اللفظين وقيل : يرجع البينات والزبر والكتاب إلى معنى واحد وهو ما أنزل على الأنبياء من الكتب.

❁ ❁ ❁

س: ما فائدة إخبار النبي ﷺ بما سبق من تكذيب الأمم للمرسلين من قبله؟

ج: فائدته تصبير النبي ﷺ وتثبيته كما قال: ﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾ [الأحقاف: ٣٥] وكذا حمله على التأسِّي بمن سبقه من أهل الصلاح والفضل من المرسلين.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَبِٱلزُّبُرِ وَبِٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَخَذْتُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٢٦﴾﴾.

ج: المعنى: وإن يكذبك قومك والقرشيون والذين أرسلت فيهم فقد كذبت الأمم من قبلهم رسلهم، مع مجيء رسلهم بالحُجج الواضحات والمعجزات الباهرات الدالة على صدقهم ونبوتهم ورسالتهم، وكذا جاؤوهم بالكتب من عند الله فكذبوهم أيضًا مع مجيئهم بالكتب التي هي الكتب الواضحات الظاهرات التي لا لبس فيها ولا غموض، فماذا كان بعد تكذيبهم، لقد أخذت أهل الكفر بعذاب شديد فكيف كان إنكاري عليهم لقد كان إنكارًا شديدًا، لقد كان إنكاري عليهم متمثلًا في عذاب شديد.

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾ يقول تعالى ذكره مسليًا نبيه ﷺ فيما يلقى من مشركي قومه من التكذيب: وإن يكذبك يا محمد مشركو قومك فقد كذب الذين من قبلهم من الأمم الذين جاءتهم رسلهم بالبينات، يقول: بحجج من الله واضحة، وبالزبر يقول: وجاءتهم بالكتب من عند الله.

وقوله: ﴿ ثُمَّ أَخَذْتُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٢٦﴾ ﴾ يقول تعالى ذكره: ثم أهلكنا الذين جحدوا رسالة رسلنا، وحقيقة ما دعوهم إليه من آياتنا وأصروا على جحودهم ﴿فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ يقول: فانظر يا محمد كيف كان تغييري بهم وحلول عقوبتي بهم.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿ ثُمَّ أَخَذْتُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴾ أي: كيف كانت عقوبتي لهم وأثبت ورش عن نافع و شيبة الياء في (نكيري) حيث وقعت في الوصل دون الوقف وأثبتها يعقوب في الحالين وحذفها الباقون في الحالين.

MOSTAFALADAWY.COM

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله تبارك وتعالى: ﴿ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ﴾ وهي: المعجزات الباهرات، والأدلة القاطعات، ﴿وَبِٱلزُّبُرِ﴾ وهي الكتب، ﴿وَبِٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ ﴾ أي: الواضح البين.

﴿ ثُمَّ أَخَذْتُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ﴾ أي: ومع هذا كله كذّب أولئك رسلَهم فيما جاؤوهم به، فأخذتهم، أي: بالعقاب والنكال، ﴿فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴾ أي: فكيف رأيت إنكاري عليهم عظيمًا شديدًا بليغًا؟

❁ ❁ ❁

MOSTAFAADWY.COM

قال الله تعالى:

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَا ۚ وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴿٢٧﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَ ۗ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾﴾[فاطر: ٢٧-٢٨]

MOSTAFAALADWY.COM

س: وضح معنى ما يلي:

﴿جُدَدٌ -وَغَرَابِيبُ سُودٌ -يَخْشَى﴾؟

ج:

الكلمة	معناها
﴿جُدَدٌ﴾	طرائق في الجبال – قطع خطوط بألوان تغاير لون الجبل (أي: أن الجبل نفسه به خطوط ملونة تخالف لونه)
﴿وَغَرَابِيبُ سُودٌ﴾	سود غرابيب أي سود شديدة السواد
﴿يَخْشَى﴾	يخاف

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴿٢٧﴾ وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَٰلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾﴾؟

ج: المعنى – والله تعالى أعلم –: ألم تر بعينيك وأمامك وكذا ألم تر بقلبك وتعلم أن الله ﷻ أنزل من السماء ماء – وهو الغيث والمطر – فأخرج به من الأرض نباتًا، ثم أثمر هذا النبات ثمرات متنوعة في ألوانها هذا أصفر، وذاك أحمر، وذاك أبيض، ومن كل الألوان كما قال تعالى: ﴿وَأَنبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿٥﴾﴾ [الحج: ٥]، وكذا فإن الله ﷻ جعل من الجبال قطعًا وطرائق أوهى الخطوط تكون في الجبال بألوان تخالف لون الجبل الأصلي فترى الجبل الشامخ به ألوان في وسطه أحيانًا ترى اللون الأبيض وترى لونًا آخر

Mostafa-ww.com

أحمر، وألوان أخر، وترى من الجبال جبالًا سودًا غرابيب (أي: شديدة السواد)، وهكذا من الناس أيضًا من هو أبيض، ومن هو أسمر، ومن هو أحمر، ومن هو بين ذلك ودون ذلك وكذا الدواب التي تدب على الأرض والأنعام أيضًا، من إبل وبقر ضأن ومعز كلها ذات ألوان يخالف بعضها بعضًا ويُغاير بعضها بعضًا.

ألم تر ذلك فتستدل به على قدرة الله ﷻ فهو قادر على خلق الشيء وما يقابله كما قال: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [يس: ٣٦].

إنما يستدل بذلك على وحدانية الله وقدرته أهل العلم الذين يخشون الله ويعلمونه أنه على كل شيء قدير، يعلمون أن الله قادرٌ على هداية أقوامٍ، وإضلال أخرى، قادر على تعذيب أقوام ورحمة آخرين.

إن الله عزيز لا يغلب، غفور كثير المغفرة لمن استغفر وأناب.

وبنحو هذا قال العلماء

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ألم تر يا محمد أن الله أنزل من السماء غيثًا فأخرجنا به ثمرات مختلفًا ألوانها: يقول: فسقيناه أشجارًا في الأرض فأخرجنا به من تلك الأشجار ثمرات مختلفًا ألوانها؛ منها الأحمر ومنها الأسود والأصفر، وغير ذلك من ألوانها ﴿وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ﴾ يقول تعالى ذكره: ومن الجبال طرائق، وهي الجدد، وهي الخطط تكون في الجبال بيض وحمر وسود، كالطرق واحدتها جدة، ومنه قول امرئ القيس في صفة حمار:

MOSTAFADAWY.COM

كـــأنَّ سَـــرَاتَهُ وَجُـــدَّةَ مَتْنِـــهِ كَنَـــائِنُ يَجْـــرِي فَـــوْقَهُنَّ دَلِـــيصُ

يعني بالجدة: الخطة السوداء تكون في متن الحمار.

وقوله: ﴿مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا﴾ يعني: مختلف ألوان الجدد ﴿وَغَرَابِيبُ سُودٌ﴾ وذلك من المقدم الذي هو بمعنى التأخير، وذلك أن العرب تقول: هو أسود غربيب، إذا وصفوه بشدة السواد، وجعل السواد ها هنا صفة للغرابيب.

وقوله: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ﴾ كما من الثمرات والجبال مختلف ألوانه بالحمرة والبياض والسواد والصفرة، وغير ذلك.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة في قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَا﴾ أحمر وأخضر وأصفر ﴿وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ﴾ أي: طرائق بيض ﴿وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا﴾ أي: جبال حمر وبيض ﴿وَغَرَابِيبُ سُودٌ﴾ هو الأسود يعني لونه كما اختلف ألوان هذه اختلف ألوان الناس والدواب والأنعام كذلك.

وقوله: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا﴾ يقول تعالى ذكره: إنما يخاف الله فيتقي عقابه بطاعته العلماء، بقدرته على ما يشاء من شيء، وأنه يفعل ما يريد، لأن من علم ذلك أيقن بعقابه على معصيته؛ فخافه ورهبه خشية منه أن يعاقبه.

وقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ يقول تعالى ذكره: إن الله عزيز في انتقامه ممن كفر به غفور لذنوب من آمن به وأطاعه.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى منبهًا على كمال قدرته في خلقه الأشياء المتنوعة المختلفة من الشيء الواحد، وهو الماء الذي ينزله من السماء، يخرج به ثمرات مختلفًا

ألوانها، من أصفر وأحمر وأخضر وأبيض، إلى غير ذلك من ألوان الثمار، كما هو المشاهد من تنوع ألوانها وطعومها وروائحها، كما قال تعالى في الآية الأخرى: ﴿وَفِي ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ وَجَنَّٰتٌ مِّنْ أَعْنَٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلْأُكُلِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾﴾ [الرعد: ٤].

وقوله تبارك وتعالى: ﴿وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا﴾ أي: وخلق الجبال كذلك مختلفة الألوان، كما هو المشاهد أيضًا من بيض وحمر، وفي بعضها طرائق -وهي: الجُدَد، جمع جُدّة- مختلفة الألوان أيضًا.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: الجُدَد: الطرائق. وكذا قال أبو مالك، والحسن، وقتادة، والسدي.

ومنها: ﴿وَغَرَابِيبُ سُودٌ﴾، قال عكرمة: الغرابيب: الجبال الطوال السود. وكذا قال أبو مالك، وعطاء الخراساني وقتادة.

وقال ابن جرير: والعرب إذا وصفوا الأسود بكثرة السواد، قالوا: أسود غربيب.

ولهذا قال بعض المفسرين في هذه الآية: هذا من المقدم والمؤخر في قوله تعالى: ﴿وَغَرَابِيبُ سُودٌ﴾ أي: سود غرابيب. وفيما قاله نظر.

وقوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَ﴾ أي: وكذلك الحيوانات من الأناسي والدواب -وهو: كل ما دبَّ على قوائم- والأنعام، من باب عطف الخاص على العام. كذلك هي مختلفة أيضًا، فالناس منهم بربر وحُبُوش وطُمَاطم في غاية السواد، وصقالبة وروم في غاية البياض،

MostafaAdly.com

والعرب بين ذلك، والهنود دون ذلك؛ ولهذا قال تعالى في الآية الأخرى: ﴿وَٱخۡتِلَٰفُ أَلۡسِنَتِكُمۡ وَأَلۡوَٰنِكُمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّلۡعَٰلِمِينَ ٢٢﴾ [الروم: ٢٢]. وكذلك الدواب والأنعام مختلفة الألوان، حتى في الجنس الواحد، بل النوع الواحد منهن مختلف الألوان، بل الحيوان الواحد يكون أبلق، فيه من هذا اللون وهذا اللون، فتبارك الله أحسن الخالقين.

ثم قال:

ولهذا قال تعالى بعد هذا: ﴿إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ أي: إنما يخشاه حق خشيته العلماء العارفون به؛ لأنه كلما كانت المعرفة للعظيم القدير العليم الموصوف بصفات الكمال المنعوت بالأسماء الحسنى -كلما كانت المعرفة به أتمّ والعلم به أكمل، كانت الخشية له أعظم وأكثر.

❁ ❁ ❁

MOSTAFAALABW.COM

قال الله تعالى:

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتۡلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ يَرۡجُونَ تِجَٰرَةٗ لَّن تَبُورَ ٢٩ لِيُوَفِّيَهُمۡ أُجُورَهُمۡ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضۡلِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ غَفُورٞ شَكُورٞ ٣٠ وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ هُوَ ٱلۡحَقُّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِعِبَادِهِۦ لَخَبِيرُۢ بَصِيرٞ ٣١ ثُمَّ أَوۡرَثۡنَا ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَيۡنَا مِنۡ عِبَادِنَاۖ فَمِنۡهُمۡ ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ وَمِنۡهُم مُّقۡتَصِدٞ وَمِنۡهُمۡ سَابِقُۢ بِٱلۡخَيۡرَٰتِ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَضۡلُ ٱلۡكَبِيرُ ٣٢ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ يَدۡخُلُونَهَا يُحَلَّوۡنَ فِيهَا مِنۡ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٖ وَلُؤۡلُؤٗاۖ وَلِبَاسُهُمۡ فِيهَا حَرِيرٞ ٣٣ وَقَالُواْ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَذۡهَبَ عَنَّا ٱلۡحَزَنَۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٞ شَكُورٌ ٣٤ ٱلَّذِيٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلۡمُقَامَةِ مِن فَضۡلِهِۦ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٞ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٞ ٣٥ ﴾

[فاطر: ٢٩-٣٥]

MOSTAFALAW.COM

س: وضح معنى ما يلي:

﴿يَتْلُونَ -وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ -سِرًّا -وَعَلَانِيَةً -لَّن تَبُورَ - أُجُورَهُمْ- غَفُورٌ شَكُورٌ -أَوْحَيْنَآ -مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ -ٱصْطَفَيْنَا -ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ -مُّقْتَصِدٌ - سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ - جَنَّٰتُ عَدْنٍ -يُحَلَّوْنَ -أَسَاوِرَ -شَكُورٌ -أَحَلَّنَا -دَارَ ٱلْمُقَامَةِ -لَا يَمَسُّنَا - نَصَبٌ -لُغُوبٌ﴾

ج

الكلمة	معناها
﴿يَتْلُونَ﴾	يقرؤن (وقيل: يتبعون)
﴿وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾	أدوا الصلاة في أوقاتها بأركانها وحدودها
﴿سِرًّا﴾	في خفاء
﴿وَعَلَانِيَةً﴾	علنًا (أمام الناس) جهارًا
﴿لَّن تَبُورَ﴾	لن تكسد ولن تخيب ولن تضيع
﴿أُجُورَهُمْ﴾	ثواب أعمالهم
﴿غَفُورٌ شَكُورٌ﴾	غفور لذنوبهم شكور لحسناتهم
﴿أَوْحَيْنَآ﴾	أنزلنا
﴿مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾	موافقًا لما بين يديه من الكتب التي تقدمته (كالتوراة والإنجيل)
﴿ٱصْطَفَيْنَا﴾	اخترنا – فضلنا – اجتبينا
﴿ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ﴾	مسرف على نفسه بالمعاصي والكبائر

MOSTAFAADAWY.COM

﴿مُّقْتَصِدٌ﴾	متوسط في الطاعات يفعل الواجبات ويترك الكبائر
﴿سَابِقٌ بِٱلْخَيْرَٰتِ﴾	يسبق غيره إلى فعل الخير – مسابق إلى الخير سباق إليه
﴿جَنَّٰتُ عَدْنٍ﴾	بساتين إقامة
﴿يُحَلَّوْنَ﴾	يلبسون (كحلية)
﴿أَسَاوِرَ﴾	جمع أسورة، وهي ما يلبس في اليد
﴿شَكُورٌ﴾	يشكر لعباده أعمالهم الصالحة التي عملوها ويكافؤهم عليها
﴿أَحَلَّنَا﴾	أسكننا – أدخلنا – وأنزلنا – جعلها محلًّا لنا
﴿دَارَ ٱلْمُقَامَةِ﴾	دار الإقامة التي لا تحول عنها ولا خروج منها
﴿لَا يَمَسُّنَا﴾	لا يصيبنا
﴿نَصَبٌ﴾	تعب
﴿لُغُوبٌ﴾	إعياء

❁ ❁ ❁

س: اذكر بعض الوارد في فضل تلاوة القرآن والحث على ذلك؟

ج: من ذلك ما يلي:

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٠﴾﴾.

وقوله تعالى: ﴿لَيْسُوا۟ سَوَآءً ۗ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ

MOSTAFAALAWY.COM

يَسْجُدُونَ ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ ﴾ [آل عمران: ١١٥].

وفي الحث على ذلك:

وقوله تعالى: ﴿ اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

وقوله تعالى: ﴿ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا ﴿٤﴾ ﴾ [المزمل: ٤].

والآيات في هذا كثيرة.

أما الأحاديث فمنها ما يلي:

قوله ﷺ: «الْمَاهِرُ بِالْقُرْآنِ مَعَ السَّفَرَةِ الْكِرَامِ الْبَرَرَةِ وَالَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَيَتَتَعْتَعُ فِيهِ وَهُوَ عَلَيْهِ شَاقٌّ لَهُ أَجْرَانِ»(١).

وقوله ﷺ: «وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللهِ يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ وَحَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ وَذَكَرَهُمُ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ»(٢).

وما أخرجه ابن ماجه(٣) وغيره من حديث أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ ﷺ: «إِنَّ لِلَّهِ أَهْلِينَ مِنَ النَّاسِ» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ مَنْ هُمْ؟ قَالَ: «هُمْ أَهْلُ الْقُرْآنِ أَهْلُ اللهِ وَخَاصَّتُهُ».

قوله ﷺ: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَيَعْمَلُ بِهِ كَالْأُتْرُجَّةِ طَعْمُهَا طَيِّبٌ وَرِيحُهَا طَيِّبٌ»(٤).

وقوله ﷺ: «يُقَالُ لِصَاحِبِ الْقُرْآنِ اقْرَأْ وَارْتَقِ وَرَتِّلْ كَمَا كُنْتَ تُرَتِّلُ فِي الدُّنْيَا

---

(١) مسلم (٧٩٨)، ونحوه عند البخاري (٤٩٣٧).

(٢) مسلم (٢٦٩٩).

(٣) ابن ماجه (٢١٥)، وأحمد (٣/ ١٢٧).

(٤) البخاري (٥٠٥٩)، ومسلم (٧٩٧).

Mostafalrby.com

فَإِنَّ مَنْزِلَتَكَ عِنْدَ آخِرِ آيَةٍ تَقْرَأُ بِهَا»[١].

وقوله ﷺ: «إِنَّ اللهَ يَرْفَعُ بِهَذَا الْكِتَابِ أَقْوَامًا وَيَضَعُ بِهِ آخَرِينَ»[٢].

وقوله ﷺ: «لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ رَجُلٌ عَلَّمَهُ اللهُ الْقُرْآنَ فَهُوَ يَتْلُوهُ آنَاءَ اللَّيْلِ وَآنَاءَ النَّهَارِ...» الحديث[٣].

وقوله ﷺ: «خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ»[٤].

وقوله ﷺ: «أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ إِذَا رَجَعَ إِلَى أَهْلِهِ أَنْ يَجِدَ فِيهِ ثَلَاثَ خَلِفَاتٍ[٥] عِظَامِ سِمَانٍ؟»، قُلْنَا: نَعَمْ، قَالَ: «فَثَلَاثُ آيَاتٍ يَقْرَأُ بِهِنَّ أَحَدُكُمْ فِي صَلَاتِهِ خَيْرٌ لَهُ مِنْ ثَلَاثِ خَلِفَاتٍ عِظَامٍ سِمَانٍ»[٦].

وفي صحيح مسلم أيضًا أن النبي ﷺ قال: «أَيُّكُمْ يُحِبُّ أَنْ يَغْدُوَ كُلَّ يَوْمٍ إِلَى بُطْحَانَ أَوْ إِلَى الْعَقِيقِ فَيَأْتِيَ مِنْهُ بِنَاقَتَيْنِ كَوْمَاوَيْنِ فِي غَيْرِ إِثْمٍ وَلَا قَطْعِ رَحِمٍ؟» فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ نُحِبُّ ذَلِكَ قَالَ: «أَفَلَا يَغْدُو أَحَدُكُمْ إِلَى الْمَسْجِدِ فَيَعْلَمُ أَوْ يَقْرَأُ آيَتَيْنِ مِنْ كِتَابِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ خَيْرٌ لَهُ مِنْ نَاقَتَيْنِ وَثَلَاثٌ خَيْرٌ لَهُ مِنْ ثَلَاثٍ وَأَرْبَعٌ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَرْبَعٍ وَمِنْ أَعْدَادِهِنَّ مِنَ الْإِبِلِ».

❁ ❁ ❁

س: ما المراد بالزيادة في قوله تعالى: ﴿وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ﴾؟

---

(١) الترمذي (٢٩١٤) وغيره.

(٢) مسلم (٨١٧).

(٣) البخاري (٥٠٢٦)، ونحوه عند البخاري ومسلم عن ابن عمر مرفوعًا، البخاري (٥٠٢٥)، ومسلم (٨١٥).

(٤) البخاري (٥٠٢٧).

(٥) المراد الحوامل من الإبل

(٦) مسلم (٨٠٢).

MOSTAFABAKRY.COM

ج: قال بعض العلماء أن المراد بالزيادة ما يلي:

أولًا: تضعيف الثواب على الحسنات فالحسنة بعشر أمثالها وأكثر.

ثانيًا: الشفاعة تقبل فيهم بإذن الله فالقرآن يشفع لهم والرسول ﷺ يشفع لهم، وأعمالهم الصالحة هنالك يثابون عليها.

ثالثًا: رفعة الدرجات، ففي الحديث: «يُقَالُ لِصَاحِبِ الْقُرْآنِ اقْرَأْ وَارْتَقِ وَرَتِّلْ، فَإِنَّ مَنْزِلَتَكَ عِنْدَ آخِرِ آيَةٍ تَقْرَأُهَا».

رابعًا: فضل الله عليهم بالنظر لوجهه الكريم وإحلال رضوانه عليهم. والله أعلم.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٠﴾﴾

ج: هذا – والله تعالى أعلم – إخبارٌ من الله ﷻ بفضيلة حملة كتابه العزيز العاملين به، فيقول تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ﴾، الذين يقرؤون القرآن ويرتلونه ويتبعونه، ويحافظون على صلواتهم كما أمرهم الله ﷻ، وكذلك يؤدون الزكوات زكوات الفرض والنفل (سرًّا) في خفاء، وهذا غالب حالهم سترًا على الفقراء والمحاويج والمساكين، ومن العلماء من قال: زكاة الفرض لا بأس بإبدائها (وعلانية) حيث يحتاج الأمر إلى ذلك كأن يكون في ذلك دفعًا للشبهات المثارة حول شخص، أن يكون في ذلك حملٌ للآخرين على التأسي والاقتداء، فهؤلاء الذين ذكر صفاتهم وأعمالهم، يبتغون بأعمالهم هذه ثوابًا

من ربهم ﷻ بتلك الأعمال، لن يضيع ثوابهم، بل سيوفيهم ربهم ﷻ أجورهم، ثواب أعمالهم مستوفى كاملًا، بل وسيزيدهم من فضله عطاءً فوق العطاء وثوابًا فوق الثواب، فإنه ﷻ غفورٌ لذنوب عباده المستغفرين، وشكور لأعمالهم الحسنة التي عملوها.

وبنحو هذا قال أهل العلم:

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: إن الذين يقرءون كتاب الله الذي أنزله على محمد ﷺ ﴿وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ يقول: وأدوا الصلاة المفروضة لمواقيتها بحدودها، وقال: وأقاموا الصلاة بمعنى: ويقيموا الصلاة.

وقوله: ﴿وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً﴾ يقول: وتصدقوا بما أعطيناهم من الأموال سرًّا في خفاء وعلانية جهارًا، وإنما معنى ذلك أنهم يؤدون الزكاة المفروضة، ويتطوعون أيضًا بالصدقة منه بعد أداء الفرض الواجب عليهم فيه.

وقوله: ﴿يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ﴾ يقول تعالى ذكره: يرجون بفعلهم ذلك تجارة لن تبور: لن تكسد ولن تهلك، من قولهم: بارت السوق إذا كسدت وبار الطعام. وقوله: ﴿تِجَٰرَةً﴾ جواب لأول الكلام.

وقوله: ﴿لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ﴾ يقول: ويوفيهم الله على فعلهم ذلك ثواب أعمالهم التى عملوها في الدنيا ﴿وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ﴾ يقول: وكي يزيدهم على الوفاء من فضله ما هو له أهل، وكان مطرف بن عبد الله يقول: هذه آية القراء.

وأورد الطبري بأسانيد صحيحة عن مُطرف بن عبد الله قال: في هذه الآية

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ ... ﴾ إلى آخر الآية، هذه آية القراء يعني بذلك رَحِمَهُ اللَّهُ هذه الآية التي فيها فضيلة القراء واضحة وظاهرة وجلية وعظيمة.

وقوله: ﴿إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴾ يقول: إن الله غفور لذنوب هؤلاء القوم الذين هذه صفتهم شكور لحسناتهم.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

يخبر تعالى عن عباده المؤمنين الذين يتلون كتابه ويؤمنون به ويعملون بما فيه، من إقام الصلاة، والإنفاق مما رزقهم الله في الأوقات المشروعة ليلا ونهارًا، سرًّا وعلانية، ﴿يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴾ أي: يرجون ثوابًا عند الله لا بد من حصوله. كما قدمنا في أول التفسير عند فضائل القرآن أنه يقول لصاحبه: «**إن كل تاجر من وراء تجارته، وإنك اليوم من وراء كل تجارة**»؛ ولهذا قال تعالى: ﴿ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ﴾ أي: ليوفيهم ثواب ما فعلوه ويضاعفه لهم بزيادات لم تخطر لهم ﴿إِنَّهُۥ غَفُورٌ﴾ أي: لذنوبهم ﴿شَكُورٌ﴾ للقليل من أعمالهم.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ هُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِعِبَادِهِۦ لَخَبِيرٌۢ بَصِيرٌ ﴿٣١﴾ ﴾؟

ج: المعنى – والله تعالى أعلم –: والذي أنزلنا إليك يا رسول الله هو الحق، لا شك فيه ولا ريب، وهو الصواب أنزلناه إليك موافقًا الكتب التي سبقته، تلك التي أنزلناها على أنبيائنا ورسلنا كالتوراة والإنجيل وغيرها، فهي لا تخالفه ولا يخالفها بل هو مصدقٌ لها وهي به مبشرة وله مصدقة وفي قوله ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ﴾ وجهان مشهوران للعلماء:

MOSTAFAABBAS.COM

أحدهما: أن الأخبار التي في الكتاب العزيز توافق تلك التي في التوراة والإنجيل، وكذا ما فيه من الأخبار بوحدانية الله ﷻ والأمر بعبادته وحده لا شريك له.

الثاني: أن مجيء القرآن تصديق للتوراة والإنجيل، ففي التوراة والإنجيل إخبار بأنه سينزل على النبي محمد ﷺ، فإذا لم ينزل كانت الأخبار التي فيها بخروجه كاذبة، فنزوله يُعدُّ تصديقًا لها، والله أعلم.

أما قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِعِبَادِهِۦ لَخَبِيرٌۢ بَصِيرٌ ﴿٣١﴾﴾ فحاصل معناه أن الله ﷻ ذو خبرةٍ بعباده، والله يستحق الإكرام منهم، وبصيرٌ بما يصلحهم وينفعهم فيشرع لهم ما ينفعهم ويرشدهم إلى كل ما فيه خيرٌ لهم.

وبنحو ما ذكر قال العلماء:

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ﴿وَٱلَّذِىٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ يا محمد وهو هذا القرآن الذي أنزله الله عليه ﴿هُوَ ٱلۡحَقُّ﴾ يقول: هو الحق عليك وعلى أمتك أن تعمل به، وتتبع ما فيه دون غيره من الكتب التي أوحيت إلى غيرك ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِۗ﴾ يقول: هو يصدق ما مضى بين يديه فصار أمامه من الكتب التي أنزلتها إلى من قبلك من الرسل.

وأورد بإسناد حسن، عن قتادة قوله: ﴿وَٱلَّذِىٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ هُوَ ٱلۡحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِۗ﴾ للكتب التي خلت قبله.

قال:

وقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِعِبَادِهِۦ لَخَبِيرٌۢ بَصِيرٌ ﴿٣١﴾﴾ يقول تعالى ذكره: إن الله بعباده لذو

Mostafalabib.com

علم وخبرة بما يعملون بصير بما يصلحهم من التدبير.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقول تعالى: ﴿وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ﴾ يا محمد ﴿مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ﴾، وهو القرآن ﴿هُوَ ٱلۡحَقُّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِۗ﴾ أي: من الكتب المتقدمة يصدقها، كما شهدت له بالنبوة، وأنه منزل من رب العالمين.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِعِبَادِهِۦ لَخَبِيرُۢ بَصِيرٞ﴾ أي: هو خبير بهم، بصير بمن يستحق ما يفضله به على مَنْ سواه. ولهذا فضَّل الأنبياء والرسل على جميع البشر، وفضل النبيين بعضهم على بعض، ورفع بعضهم درجات، وجعل منزلة محمد ﷺ فوق جميعهم، صلوات الله عليهم أجمعين.

❁ ❁ ❁

الظالم لنفسه والمقتصد والسابق بالخيرات

س: ما المراد بالكتاب المذكور في الآية الكريمة: ﴿ثُمَّ أَوۡرَثۡنَا ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَيۡنَا مِنۡ عِبَادِنَاۖ﴾ ومن الذين اصطفاهم الله من عباده الذين عناهم الله بقوله: ﴿ٱصۡطَفَيۡنَا مِنۡ عِبَادِنَاۖ﴾؟

ج: لأهل العلم في تفسير الكتاب أقوالٌ – وسأذكرها بعد إن شاء الله – أختار منها أن المراد بالكتاب هنا القرآن الكريم الذي أنزله الله على رسوله محمد ﷺ.

والذين اصطفاهم الله ﷻ هم أمة محمد ﷺ اصطفاهم الله من سائر الأمم وفضلهم على سائر الأمم كما قال تعالى: ﴿كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ﴾ وكما

قال ﷺ: «خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي»[١].

وللحديث عدة ألفاظ تحمل هذا المعنى في الصحاح وغيرها وكما قال ﷺ: «إِنَّكُمْ تُوفُونَ سَبْعِينَ أُمَّةً أَنْتُمْ خَيْرُهَا وَأَكْرَمُهَا عَلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ».

وإنما قلت: (اصطفاهم الله من سائر الأمم) احترازًا من أن يفهم أحدٌ أن أفراد أمة محمد ﷺ أفضل من الأنبياء؛ فالأنبياء عمومًا صفوة الله من خلقه من البشر، وكيف يكون الظالم لنفسه من أمة محمد ﷺ أفضل من الأنبياء؟!!

فلذا قلت مُحترزًا: اصطفى الله أمة محمد ﷺ في الجملة من سائر الأمم.

❁ ❁ ❁

س: وضح المراد بالظالم لنفسه وبالمقتصد وبالسابق بالخيرات بإذن الله.

ج: على ما ذهبت إليه من تأويل الآية الكريمة فالذي أراه، والعلم عند الله.

أن الظالم لنفسه: هو المسرف على نفسه من أمة محمد ﷺ وهو مرتكب الذنوب والمعاصي والآثام ومقترف الكبائر والموبقات، ولكن من أهل التوحيد يشهد ألا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، ولا يشرك بالله شيئًا.

فهذا، وإن كان يعذب – إن لم يغفر الله له – يُعذب على ذنوبه وجناياته وجرائمه، لكن مآله ما دام من أهل التوحيد إلى الجنة، على ما وردت به الأحاديث الصحاح الثوابت عن رسول الله ﷺ من خروج أقوام من النار ودخولهم الجنة.

وقد يفهم أيضًا هذا من السياق القرآني الكريم فعقب هذه الآيات يقول تعالى: ﴿ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ يَدۡخُلُونَهَا ﴾ فإن حملناها على الثلاثة الظالم لنفسه

(١) البخاري (٢٦٥١، ٢٦٥٢)، ومسلم (٢٥٣٣، ٢٥٣٤) وله طرق.

والمقتصد والسابق بالخيرات بإذن الله، فيكون توجيه القول في الظالم لنفسه ودخوله الجنة بأحد أمرين:

أولهما: أن يغفر الله له لتوحيده، وذلك أمر مردُّه إلى الله، وقد قال ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨].

والثاني: أن يعذب في النار بقدر جرائمه وجرائره ثم يخرج منها ويدخل الجنة على ما أفادته الأحاديث الصحاح. والله أعلم.

أما المقتصد من هذه الأمة: فهو الذي يفعل الواجبات والفرائض ويتقي المحظورات والكبائر، وأراه كالقائل في الحديث لما سأل النبي ﷺ عن الصلاة والزكاة والصيام ... وقال: والله لا أزيد على هذا ولا أنقص، وقال النبي ﷺ: «**أفلح إن صدق**»، أو «**دخل الجنة إن صدق**»، وكذلك يدخل في هذا الباب من كان مقتصدًا في الطاعات ليس بمستكثر منها.

أما السابق بالخيرات من هذه الأمة: فهو القائم بالفرض والمتبعه بالنفل، هو المحسن المتصدق، هو المصلي والقانت آناء الليل، هو فاعل النوافل بعد الفرائض عمومًا هو المسابق إلى الخيرات عمومًا، هو محسن التوكل على الله هو التقي الورع، إلى غير ذلك مما تقتضيه المسابقة بالخيرات. والله أعلم

❁ ❁ ❁

س: لماذا قدِّم الظالم لنفسه على المقتصد والسابق بالخيرات؟

ج: قال الشنقيطي في «أضواء البيان»:

واختلف أهل العلم في سبب تقديم الظالم في الوعد بالجنة على المقتصد والسابق ، فقال بعضهم : قدم الظالم لئلا يقنط ، وأخَّر السابق بالخيرات لئلا يعجب بعمله فيحبط . وقال بعضهم : قدم الظالم لنفسه؛ لأن أكثر أهل الجنة

الظالمون لأنفسهم؛ لأن الذين لم تقع منهم معصية أقل من غيرهم . كما قال تعالى : ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ﴾ [ص : ٢٤] .

❁ ❁ ❁

س: ما وجه الإفادة بقوله تعالى: ﴿بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ عقب قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ﴾؟

ج: ذلك – والله أعلم – لبيان أمر حاصله أن من يسبق بالخيرات سبق لا يكون إلا بإذن الله بذلك وبتوفيق من الله لذلك، فمن ثَمَّ يحرص العبد على سؤال الله ﷻ أن يجعله من السابقين بالخيرات.

❁ ❁ ❁

س: ما وجه قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ﴾؟

ج: المعنى – والله تعالى أعلم –: ثم تفضَّلنا على أمة محمد ﷺ بهذا الكتاب العزيز متضمنًا ما في الكتب التي تقدمته ومصدقًا لها ومهيمنًا عليها، تفضلنا عليهم بأن جعلناهم القائمين بهذا الكتاب العزيز، المؤمنين به، العاملين بما فيه المصدقين له.

فوراثة الكتاب وراثة الإيمان به والعمل بما فيه والتصديق له.

وإن كان بعض العلماء كالطبري – رحمه الله تعالى – قد أوَّل الميراث بأنه الإيمان بالكتب المتقدمة – على ما سيأتي من قوله إن شاء الله – وابن كثير أوَّله بالقيام به (أي: بالقيام بالقرآن يعني بالعمل به).

وآخرون أوّلوا بتأويلاتٍ أخر، لكن ما ذكرته لعلها والله أعلم يكون أشملها.

❁ ❁ ❁

MOSTAFABEY.COM

س: ذلك هو الفضل الكبير إشارة إلى ماذا؟

ج: ذلك يحتمل أمورًا:

أحدها: أنه راجع إلى أقرب مذكور وهو السبق بالخيرات، فمن سبق بالخيرات فقد تفضَّل الله عليه بفضلٍ كبير.

الثاني: أنه عائدٌ على الاصطفاء وإيتاءهم هذا الكتاب مع أن منهم الظالم لنفسه ومنهم المقتصد.

الثالث: أنه عائدٌ على الجنات التي أعدت لهم، والله أعلم.

❁ ❁ ❁

س: اذكر بعض أقوال أهل العلم في تفسير قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ (٣٢) ﴾.

ج: من هذه الأقوال ما يلي:

قول الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ، فقد قال:

اختلف أهل التأويل في معنى الكتاب الذي ذكر الله في هذه الآية أنه أورثه الذين اصطفاهم من عباده، ومَن المصطفون من عباده، والظالم لنفسه؛ فقال بعضهم: الكتاب هو الكتب التي أنزلها الله من قبل الفرقان. والمصطفون من عباده أمة محمد ﷺ. والظالم لنفسه أهل الإجرام منهم.

وأورد من طرق متعددة عن عبد الله بن الحارث بن نوفل قال: قال كعب: إن الظالم لنفسه والمقتصد والسابق بالخيرات من هذه الأمة كلهم في الجنة، ألم

MOSTAFAALWY.COM

تـر أن الله يقـول: ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ... ﴾ حتـى بلـغ قولـه: ﴿ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا ﴾.

وأورد بإسناد صحيح عن حميد عـن إسـحاق بـن عبـد الله بـن الحـارث عـن أبيه أن ابن عباس سأل كعبًا عـن قولـه تعـالى: ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ... ﴾ إلـى قولـه: ﴿بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ﴾ فقـال: تماسـت منـاكبهم ورب الكعبـة ثـم أعطوا الفضل بأعمالهم.

قال الطبري رحمه الله:

وقال آخـرون: الكتـاب الـذي أورث هـؤلاء القـوم هـو شـهادة أن لا إلـه إلا الله، والمصطفون هم أمة محمد ﷺ، والظالم لنفسه منهم هو المنـافق، وهـو في النار، والمقتصد والسابق بالخيرات في الجنة.

وأورد بإسناد صحيح عن الحسن قال: الظالم لنفسه المنافق.

وبإسناد حسن عن قتادة قوله: ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ ﴾ شهادة أن لا إله إلا الله ﴿ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ ﴾ هذا المنافق في قول قتادة والحسن ﴿ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ ﴾ قال: هذا صاحب اليمين ﴿ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ ﴾ قال: هذا المقرب، قال قتادة: كان الناس ثلاث منازل في الدنيا، وثلاث منازل عند الموت، وثلاث منازل في الآخرة؛ أما الدنيا فكانوا: مؤمن ومنافق ومشرك، وأما عند الموت فإن الله قال: ﴿ فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩١﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٩٢﴾ فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٩٣﴾ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ ﴿٩٤﴾ ﴾ [الواقعة: ٨٨-٩٤] وأما في الآخرة فكانوا أزواجًا ثلاثة ﴿ فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ﴿٨﴾ وَأَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ مَآ

أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَشۡـَٔمَةِ ﴿٩﴾ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ﴿١٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلۡمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾ ﴾ [الواقعة: ٨- ١١].

ثم قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب تأويل من قال: عني بقوله: ﴿ ثُمَّ أَوۡرَثۡنَا ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَيۡنَا مِنۡ عِبَادِنَاۖ ﴾ الكتب التي أنزلت من قبل الفرقان.

فإن قال قائل: وكيف يجوز أن يكون ذلك معناه وأمة محمد ﷺ لا يتلون غير كتابهم، ولا يعملون إلا بما فيه من الأحكام والشرائع؟ قيل: إن معنى ذلك على غير الذي ذهبت إليه وإنما معناه: ثم أورثنا الإيمان بالكتاب الذين اصطفينا؛ فمنهم مؤمنون بكل كتاب أنزله الله من السماء قبل كتابهم وعاملون به؛ لأن كل كتاب أُنزل من السماء قبل الفرقان، فإنه يأمر بالعمل بالفرقان عند نزوله، وباتباع من جاء به، وذلك عمل من أقر بمحمد ﷺ وبما جاء به وعمل بما دعاه إليه بما في القرآن، وبما في غيره من الكتب التي أنزلت قبله.

وإنما قيل: عني بقوله: ﴿ ثُمَّ أَوۡرَثۡنَا ٱلۡكِتَٰبَ ﴾ الكتب التي ذكرنا؛ لأن الله جل ثناؤه قال لنبيه محمد ﷺ: ﴿وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ هُوَ ٱلۡحَقُّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِۗ ﴾ ثم أتبع ذلك قوله: ﴿ ثُمَّ أَوۡرَثۡنَا ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَيۡنَا ﴾ فكان معلومًا إذ كان معنى الميراث إنما هو انتقال معنى من قوم إلى آخرين، ولم تكن أمة على عهد نبينا ﷺ انتقل إليهم كتاب من قوم كانوا قبلهم غير أمته أن ذلك معناه: وإذ كان ذلك كذلك فبين أن المصطفين من عباده هم مؤمنو أمته، وأما الظالم لنفسه فإنه لأن يكون من أهل الذنوب والمعاصي التي هي دون النفاق والشرك عندي أشبه بمعنى الآية من أن يكون المنافق أو الكافر، وذلك أن الله تعالى ذكره أتبع هذه الآية قوله: ﴿ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ يَدۡخُلُونَهَا ﴾ فعمَّ بدخول الجنة

جميع الأصناف الثلاثة.

فإن قال قائل: فإن قوله: ﴿يَدۡخُلُونَهَا﴾ إنما عني به المقتصد والسابق!

قيل له: وما برهانك على أن ذلك كذلك من خبر أو عقل؟ فإن قال: قيام الحجة أن الظالم من هذه الأمة سيدخل النار، ولو لم يدخل النار من هذه الأصناف الثلاثة أحد وجب أن لا يكون لأهل الإيمان وعيد؟ قيل: إنه ليس في الآية خبر أنهم لا يدخلون النار، وإنما فيها إخبار من الله تعالى ذكره أنهم يدخلون جنات عدن، وجائز أن يدخلها الظالم لنفسه بعد عقوبة الله إياه على ذنوبه التي أصابها في الدنيا، وظلمه نفسه فيها بالنار أو بما شاء من عقابه، ثم يدخله الجنة، فيكون ممن عمَّه خبر الله جل ثناؤه بقوله: ﴿جَنَّٰتُ عَدۡنٖ يَدۡخُلُونَهَا﴾.

وأورد الطبري حديثين في هذا الباب في إسناديهما ضعف أعرضت عن ذكرهما عن عمدٍ وقد أشار الطبري نفسه إلى ضعفهما، ثم قال رحمه الله:

وعني بقوله: ﴿ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَيۡنَا مِنۡ عِبَادِنَاۖ﴾ الذين اخترناهم لطاعتنا واجتبيناهم، وقوله: ﴿فَمِنۡهُمۡ ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ﴾ يقول: فمن هؤلاء الذين اصطفينا من عبادنا من يظلم نفسه بركوبه المآثم واجترامه المعاصي واقترافه الفواحش ﴿وَمِنۡهُم مُّقۡتَصِدٞ﴾ وهو غير المبالغ في طاعة ربه وغير المجتهد فيما ألزمه من خدمة ربه حتى يكون عمله في ذلك قصدًا ﴿وَمِنۡهُمۡ سَابِقُۢ بِٱلۡخَيۡرَٰتِ﴾ وهو المبرز الذي قد تقدم المجتهدين في خدمة ربه وأداء ما لزمه من فرائضه، فسبقهم بصالح الأعمال وهي الخيرات التي قال الله جل ثناؤه: ﴿بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ﴾ يقول: بتوفيق الله إياه لذلك.

وقوله: ﴿ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ﴾ يقول تعالى ذكره: سبوق هذا السابق من سبقه بالخيرات بإذن الله، هو الفضل الكبير الذي فضَّل به من كان مُقصِّرًا عن منزلته في طاعة الله من المقتصد والظالم لنفسه.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى: ثم جعلنا القائمين بالكتاب العظيم، المصدق لما بين يديه من الكتب، الذين اصطفينا من عبادنا، وهم هذه الأمة، ثم قسمهم إلى ثلاثة أنواع، فقال: ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ﴾ وهو: المفرط في فعل بعض الواجبات، المرتكب لبعض المحرمات. ﴿وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ﴾ وهو: المؤدي للواجبات، التارك للمحرمات، وقد يترك بعض المستحبات، ويفعل بعض المكروهات. ﴿وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ وهو: الفاعل للواجبات والمستحبات، التارك للمحرمات والمكروهات وبعض المباحات.

وأورد عددًا كبيرًا من الأحاديث عن رسول الله ﷺ في هذا الصدد لا يثبت منها أي حديث عن رسول الله ﷺ ثم قال:

وإذا تقرر هذا فإن الآية عامة في جميع الأقسام الثلاثة من هذه الأمة، فالعلماء أغبط الناس بهذه النعمة، وأولى الناس بهذه الرحمة.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ بعد أن أورد أقوالًا في الظالم لنفسه والمقتصد والسابق بالخيرات:

قوله تعالى: ﴿أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ﴾ أي أعطينا والميراث عطاء حقيقة أو مجازًا فإنه يقال فيما صار للإنسان بعد موت آخر و﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾ هاهنا يريد به معاني الكتاب وعلمه وأحكامه وعقائده وكأن الله تعالى لما أعطى أمة محمد ﷺ

القرآن وهو قد تضمن معاني الكتب المنزلة فكأنه ورث أمة محمد عليه السلام الكتاب الذي كان في الأمم قبلنا ﴿ٱصْطَفَيْنَا﴾ أي اخترنا واشتقاقه من الصفو وهو الخلوص من شوائب الكدر وأصله اصتفونا فأبدلت التاء طاء والواو ياء ﴿مِنْ عِبَادِنَا﴾ قيل المراد أمة محمد ﷺ قاله ابن عباس وغيره وكان اللفظ يحتمل جميع المؤمنين من كل أمة إلا أن عبارة توريث الكتاب لم تكن إلا لأمة محمد ﷺ والأول لم يرثوه وقيل : المصطفون الأنبياء توارثوا الكتاب بمعنى أنه انتقل عن بعضهم إلى آخر، قال الله تعالى : ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ﴾ [النمل: ١٦] وقال : ﴿يَرِثُنِى وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ﴾ [مريم: ٦] فإذا جاز أن تكون النبوة موروثة فكذلك الكتاب ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ﴾ من وقع في صغيرة. قال ابن عطية: وهذا قول مردود من غير ما وجه. قال الضحاك: معنى ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ﴾ أي: من ذريتهم ظالم لنفسه وهو المشرك. الحسن: من أممهم على ما تقدم ذكره من الخلاف في الظالم والآية في أمة محمد ﷺ وقد اختلفت عبارات أرباب القلوب في الظالم والمقتصد والسابق فقال سهل بن عبد الله: السابق العالم والمقتصد المتعلم والظالم الجاهل وقال ذو النون المصري: الظالم الذاكر الله بلسانه فقط والمقتصد الذاكر بقلبه والسابق الذي لا ينساه. وقال الأنطاكي : الظالم صاحب الأقوال والمقتصد صاحب الأفعال والسابق صاحب الأحوال. وقال ابن عطاء : الظالم الذي يحب الله من أجل الدنيا والمقتصد الذي يحبه من أجل العقبى والسابق الذي أسقط مراده بمراد الحق وقيل : الظالم الذي يعبد الله خوفًا من النار والمقتصد الذي يعبد الله طمعًا في الجنة والسابق الذي يعبد الله لوجهه لا لسبب. وقيل: الظالم الزاهد في الدنيا

لأنه ظلم نفسه فترك لها حظًّا وهي المعرفة والمحبة والمقتصد العارف والسابق المحب وقيل : الظالم الذي يجزع عند البلاء والمقتصد الصابر على البلاء والسابق المتلذذ بالبلاء وقيل : الظالم الذي يعبد الله على الغفلة والعادة والمقتصد الذي يعبده على الرغبة والرهبة والسابق الذي يعبده على الهيبة وقيل : الظالم الذي أعطي فمنع والمقتصد الذي أعطي فبذل والسابق الذي منع فشكر وآثر يدوى أن عابدين التقيا فقال : كيف حال إخوانكم بالبصرة ؟ قال : بخير إن أعطوا شكروا وإن منعوا صبروا فقال : هذه حالة الكلاب عندنا ببلخ ! عبادنا إن منعوا شكروا وإن أعطوا آثروا وقيل : الظالم من استغنى بماله والمقتصد من استغنى بدينه والسابق من استغنى بربه وقيل : الظالم التالي للقرآن ولا يعمل به والمقتصد التالي للقرآن ويعمل به والسابق القارئ للقرآن العالم به والعامل به وقيل : السابق الذي يدخل المسجد قبل تأذين المؤذن والمقتصد الذي يدخل المسجد وقد أذن والظالم الذي يدخل المسجد وقد أقيمت الصلاة لأنه ظلم نفسه الأجر فلم يحصل لها ما حصله غيره وقال بعض أهل العلم في هذا : بل السابق الذي يدرك الوقت والجماعة فيدرك الفضيلتين والمقتصد الذي إن فاتته الجماعة لم يفرط في الوقت والظالم الغافل عن الصلاة حتى يفوت الوقت والجماعة فهو أولى بالظلم وقيل : الظالم الذي يحب نفسه والمقتصد الذي يحب دينه والسابق الذي يحب ربه وقيل : الظالم الذي ينتصف ولا ينصف والمقتصد الذي ينتصف وينصف والسابق الذي ينصف ولا ينتصف وقالت عائشة رضي الله عنها : السابق الذي أسلم قبل الهجرة والمقتصد من أسلم بعد الهجرة والظالم من لم يسلم إلا

بالسيف وهم كلهم مغفور لهم.

قلت : ذكر هذه الأقوال وزيادة عليها الثعلبي في تفسيره وبالجملة فهم طرفان وواسطة وهو المقتصد الملازم للقصد وهو ترك الميل ومنه قول جابر ابن حني التغلبي :

نعاطي الملوك السلم ما قصدوا لنا ولـيس علينـا قـتلهم بمحـرم

أي: نعاطيهم الصلح ما ركبوا بنا القصد أي: ما لم يجوروا وليس قتلهم بمحرم علينا إن جاروا فلذلك كان المقتصد منزلة بين المنزلتين فهو فوق الظالم لنفسه ودون السابق بالخيرات.

وفي «أضواء البيان»:

قال مقيده عفا الله عنه وغفر له : من أرجى آيات القرآن العظيم قوله تعالى :

﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ ۖ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ ۖ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا ۖ وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٣٣﴾ وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ ۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِىٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِۦ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴿٣٥﴾ ﴾.

قد بيَّن تعالى في هذه الآية الكريمة أن إيراث هذه الأمة لهذا الكتاب، دليل على أن الله اصطفاها في قوله : ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ ﴾ وبين أنهم ثلاثة أقسام :

الأول : الظالم لنفسه، وهو الذي يطيع الله، ولكنه يعصيه أيضاً فهو الذي قال الله فيه: ﴿خَلَطُوا۟ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ﴾ [التوبة: ١٠٢].

والثاني: المقتصد وهو الذي يطيع الله ، ولا يعصيه ، ولكنه لا يتقرب بالنوافل من الطاعات.

والثالث : السابق بالخيرات : وهو الذي يأتي بالواجبات ويجتنب المحرمات ويتقرب إلى الله بالطاعات والقربات التي هي غير واجبة ، وهذا على أصح الأقوال في تفسير الظالم لنفسه ، والمقتصد والسابق ، ثم إنه تعالى بين أن إيراثهم الكتاب هو الفضل الكبير منه عليهم ، ثم وعد الجميع بجنات عدن وهو لا يخلف الميعاد في قوله: ﴿ جَنَّتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا ﴾ إلى قوله : ﴿وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴾ والواو في يدخلونها شاملة للظالم ، والمقتصد والسابق على التحقيق . ولذا قال بعض أهل العلم : حق لهذه الواو أن تكتب بماء العينين ، فوعده الصادق بجنات عدن لجميع أقسام هذه الأمة ، وأولهم الظالم لنفسه يدل على أن هذه الآية من أرجى آيات القرآن ، ولم يبق من المسلمين أحد خارج عن الأقسام الثلاثة ، فالوعد الصادق بالجنة في الآية من أرجى آيات القرآن ، ولم يبق من المسلمين أحد خارج عن الأقسام الثلاثة ، فالوعد الصادق بالجنة في الآية شامل لجميع المسلمين ولذا قال بعدها متصلاً بها ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا كَذَٰلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ ﴾ إلى قوله: ﴿فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴾.

❁ ❁ ❁

س: هل الرجال في الجنة يتحلون بالأساور من ذهب؟

ج: نعم كلٌّ يتحلى بذلك الرجال والنساء على السواء فالذهب، وإن كان مُحرمًا لبسه على الرجال في الدنيا لكنه حلالٌ لهم يوم القيامة كما أفادته

الآيات المباركات.

❁ ❁ ❁

س: ما المراد بالحزن الذي أذهبه الله عن أهل الإيمان؟

ج: لأهل العلم في ذلك أقوال:

أحدها: أنه الخوف من دخول النار، فقد سلمهم الله وآمنهم، وكانوا من قبل خائفين من ذلك.

الثاني: حزن الموت والخوف من الموت.

الثالث: ما كان في الدنيا من تعب ونصب وهمٍّ وحزن .

الرابع: أن الحزن هو الخوف الذي كان يعتري الظالم لنفسه.

الخامس: أن الحزن الخوف الذي كانوا فيه في مواقف القيامة عند تلقي الكتاب، وعند الميزان وعند الصراط، وعند دنو الشمس من رؤوس الخلائق يوم القيامة، وكذا عند القنطرة لقصاص المظالم، وعند الخروج من القبور.

والظاهر -والله أعلم-: أن المراد بالحزن هو كل حزن قد أصابهم قبل دخول الجنة. والله أعلم.

❁ ❁ ❁

س: وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى: ﴿ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ يَدۡخُلُونَهَا يُحَلَّوۡنَ فِيهَا مِنۡ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٖ وَلُؤۡلُؤٗاۖ وَلِبَاسُهُمۡ فِيهَا حَرِيرٞ ٣٣ وَقَالُواْ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَذۡهَبَ عَنَّا ٱلۡحَزَنَۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٞ شَكُورٌ ٣٤ ٱلَّذِيٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلۡمُقَامَةِ مِن فَضۡلِهِۦ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٞ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٞ ٣٥ ﴾.

ج: هذا – والله تعالى أعلم – بيانٌ للفضل الكبير الذي أخبر الله ﷻ أنه

MOSTAFALAW.COM

أعدَّه للذين اصطفاهم من عباده، فهذا الفضل الكبير هو ﴿ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ ﴾ أي: حدائق وبساتين إقامة دائمة يلبسون في هذه الجنات، أساور من ذهب يتحلون بها وكذا يتحلون باللؤلؤ وغيره، ولباسهم في هذه الجنات حرير ثم يخبر الله عن قولهم وشكرهم لما أدخلهم جناته جنات النعيم إذ قالوا: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَذۡهَبَ عَنَّا ٱلۡحَزَنَۖ ﴾ الذي كنا نعاني منه في دنيانا وكنا نخشاه عند موتنا ويوم بعثنا وقبل أن ندخل تلك الجنات جنات النعيم.

﴿إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٞ ﴾ لذنوبنا التي اقترفناها فقد كنا بشرًا نخطئ ونذنب ﴿شَكُورٌ ﴾ لصنائع المعروف التي صنعناها الحمد لله الذي أسكننا وأنزلنا وجعل محلًّا لنا ﴿دَارَ ٱلۡمُقَامَةِ ﴾ الجنة التي هي دار الإقامة الدائمة لا تحوَّل عنها ولا خروج منها، أنزلنا فيها بفضله سبحانه، وإلا فأعمالنا لم تكن بكافية لإنزالنا تلك الدار، أحلنا بفضله وبرحمته هذه الدار لا يصيبنا فيها تعبٌ ولا إعياءٌ، لا قليل التعب ولا كثيره، لا تعبٌ على الأبدان، ولا تعب على النفوس فلله الحمد جعلنا الله من سكان الفردوس، اللهم آمين، وهذه بعض أقوال العلماء في الآيات المباركات.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: بساتين إقامة يدخلونها هؤلاء الذين أورثناهم الكتاب، الذين اصطفينا من عبادنا يوم القيامة ﴿يُحَلَّوۡنَ فِيهَا مِنۡ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٖ ﴾ يلبسون في جنات عدن أسورة من ذهب ﴿وَلُؤۡلُؤٗاۖ وَلِبَاسُهُمۡ فِيهَا حَرِيرٞ ﴾ يقول: ولباسهم في الجنة حرير.

وقوله: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَذۡهَبَ عَنَّا ٱلۡحَزَنَۖ ﴾ اختلف أهل التأويل في الحَزَنِ الذي

MOSTAFALAWY.COM

حمد الله على إذهابه عنهم هؤلاء القوم؛ فقال بعضهم: ذلك الحزَن الذي كانوا فيه قبل دخولهم الجنة من خوف النار إذ كانوا خائفين أن يدخلوها.

وقال آخرون: عني به الموت.

وقال آخرون: عني به حزن الخبز.

(يعني) والله أعلم، التعب من أجل الحصول على الطعام، الذي كان يحدث للبعض في الدنيا.

وقال آخرون: الحزن من التعب الذي كانوا فيه في الدنيا.

وقال آخرون: بل عني بذلك الحزن الذي ينال الظالم لنفسه في موقف القيامة.

ثم قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: إن الله تعالى ذكره أخبر عن هؤلاء القوم الذين أكرمهم بما أكرمهم به أنهم قالوا حين دخلوا الجنة: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ﴾ وخوف دخول النار من الحزن، والجَزَع من الموت من الحزن، والجزع من الحاجة إلى المطعم من الحزن. ولم يخصص الله إذ أخبر عنهم أنهم حمدوه على إذهابه الحزن عنهم نوعًا دون نوع، بل أخبر عنهم أنهم عموا جميع أنواع الحزن بقولهم ذلك، وكذلك ذلك؛ لأن من دخل الجنة فلا حزن عليه بعد ذلك، فحمدهم على إذهابه عنهم جميع معاني الحزن.

وقوله: ﴿إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ﴾ يقول تعالى ذكره مخبرًا عن قيل هذه الأصناف الذين أخبر أنه اصطفاهم من عباده عند دخولهم الجنة: إن ربنا لغفور لذنوب عباده الذين تابوا من ذنوبهم، فساترها عليهم بعفوه لهم عنها، شكور لهم على طاعتهم إياه، وصالح ما قدموا في الدنيا من الأعمال.

ثم قال رَحِمَهُ اللَّهُ في تأويل قوله تعالى:

﴿ٱلَّذِىٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِۦ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴿٣٥﴾﴾ يقول تعالى ذكره مخبرًا عن قيل الذين أدخلوا الجنة ﴿إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِىٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلْمُقَامَةِ﴾ أي: ربنا الذي أنزلنا هذه الدار يعنون الجنة، فدار المقامة: دار الإقامة التي لا نقلة معها عنها ولا تحول، والميم إذا ضمت من «المقامة» فهو من الإقامة، فإذا فتحت فهي من المجلس، والمكان الذي يقام فيه، قال الشاعر:

يَومَانِ يَومُ مَقَامَاتٍ وَأَندِيَةٍ ... وَيَومُ سَيرٍ إِلَى الأَعْدَاءِ تَأوِيبِ

وقوله: ﴿لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ﴾ يقول: لا يصيبنا فيها تعب ولا وجع ﴿وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ﴾ يعني باللغوب: العناء والإعياء.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

يخبر تعالى أن مأوى هؤلاء المصطفين من عباده، الذين أورثوا الكتاب المنزل من رب العالمين مأواهم يوم القيامة ﴿جَنَّٰتُ عَدْنٍ﴾ أي: جنات الإقامة ﴿يَدْخُلُونَهَا﴾ يوم معادهم وقدومهم على ربهم عَلَيْهِ السَّلَامُ ﴿يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا﴾، كما ثبت في الصحيح عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «**تبلغ الحلية من المؤمن حيث يبلغ الوضوء**»[1].

﴿وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾ ولهذا كان محظورًا عليهم في الدنيا، فأباحه الله لهم في الدار الآخرة، وثبت في الصحيح أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**من لبس الحرير في الدنيا لم يلبسه في الآخرة**»[2]. وقال: «**هي لهم في الدنيا ولكم في الآخرة**».

---

(١) مسلم (٢٥٠)

(٢) البخاري (٥٨٣٢)، ومسلم (٢٠٧٣) وله طرق.

MOSTAFALARAWY.COM

وقال في تأويل قوله تعالى:

﴿وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ﴾ وهو الخوف من المحذور، أزاحه عنا، وأراحنا مما كنا نتخوفه، ونحذره من هموم الدنيا والآخرة.

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ:

﴿ٱلَّذِىٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِۦ﴾: يقولون: الذي أعطانا هذه المنزلة، وهذا المقام من فضله ومَنِّه ورحمته، لم تكن أعمالنا تساوي ذلك. كما ثبت في الصحيح أن رسول الله ﷺ قال: «**لن يدخل أحَدٌ منكم عمله الجنة**». قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: «**ولا أنا، إلا أن يَتَغَمَّدَنِي الله برحمة منه وفضل**»(١).

﴿لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ﴾ أي: لا يمسنا فيها عناء ولا إعياء.

والنصَب واللغوب: كلٌّ منهما يستعمل في التعب، وكأن المراد بنفي هذا وهذا عنهم أنهم لا تعب على أبدانهم ولا أرواحهم، والله أعلم. فمن ذلك أنهم كانوا يُدْئِبُون أنفسهم في العبادة في الدنيا، فسقط عنهم التكليف بدخولها، وصاروا في راحة دائمة مستمرة، قال الله تعالى: ﴿كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾﴾ [الحاقة: ٢٤].

❁ ❁ ❁

(١) البخاري (٥٦٧٣)، ومسلم (٢٨١٦).

قال الله تعالى:

﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمۡ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقۡضَىٰ عَلَيۡهِمۡ فَيَمُوتُواْ وَلَا يُخَفَّفُ عَنۡهُم مِّنۡ عَذَابِهَاۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي كُلَّ كَفُورٖ ٣٦ وَهُمۡ يَصۡطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا نَعۡمَلۡ صَٰلِحًا غَيۡرَ ٱلَّذِي كُنَّا نَعۡمَلُۚ أَوَلَمۡ نُعَمِّرۡكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُۖ فَذُوقُواْ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ٣٧ إِنَّ ٱللَّهَ عَٰلِمُ غَيۡبِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ٣٨ ﴾

[فاطر: ٣٦-٣٨]

MOSTAFAALADAWY.COM

س: وضح معنى ما يلي:

﴿لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ - نَجْزِي - كَفُورٍ - يَصْطَرِخُونَ - نُعَمِّرْكُم - مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ﴾.

ج:

الكلمة	معناها
﴿لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ﴾	لا يحكم عليهم بالموت
﴿نَجْزِي﴾	نعطيه جزاءه الذي يستحقه
﴿كَفُورٍ﴾	جحود لنعم الله
﴿يَصْطَرِخُونَ﴾	يصيحون – يضجون – يصرخون بشدة – ينادون بصوت عالٍ – يستغيثون بصوت عالٍ
﴿نُعَمِّرْكُم﴾	نجعلكم أحياء في الدنيا
﴿مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ﴾	زمنًا يتعظ فيه من يتعظ

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُواْ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا كَذَٰلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ ﴿٣٦﴾﴾.

ج: هذا بيان لحال الأشقياء يوم القيامة بعد أن بُيِّن حال السعداء، قال تعالى في شأن الأشقياء: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ﴾، جزاءً لهم على كفرهم وعصيانهم وتمردهم ﴿لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُواْ﴾ لا يحكم لهم بالموت فيموتوا، بل يبقون بلا موت، وكذا لا يخفف عنهم العذاب كما قال تعالى: ﴿لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ

MOSTAFALAW.com

وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٥﴾ ﴾ [الزخرف: ٧٥]، فهكذا نجازي كل جحود لنعم الله وجحود لرسالات الله.

وبنحوه قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾ بالله ورسوله ﴿لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ ﴾ يقول: لهم نار جهنم مخلدين فيها؛ لا حظ لهم في الجنة ولا نعيمها.

وأورد بإسناد حسن، عن قتادة: ﴿لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ ﴾ بالموت ﴿فَيَمُوتُواْ ﴾؛ لأنهم لو ماتوا لاستراحوا ﴿وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا ﴾ يقول: ولا يخفف عنهم من عذاب نار جهنم بإماتتهم، فيخفف ذلك عنهم.

وأورد من حديث أَبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ: «**أما أهل النار الذين هم أهلها فإنهم لا يموتون فيها ولا يحيون، لكنَّ ناسًا**، أو كما قال، **تُصيبهمُ النارُ بذنوبِهم**، أو قال: **بخطاياهم، فَيُمِيتُهم إماتةً حتى إذا صاروا فَحْمًا أذن في الشفاعة، فجيء بهم ضَبَائِرَ ضَبَائِرَ، فَبُثُّوا على أهل الجنة، فقال: يا أهلَ الجنة أَفِيضُوا عليهم فَيَنْبُتُون كما تَنْبُتُ الحبة في حَمِيلِ السيل**» فقال رجل من القوم حينئذٍ: كأن رسول الله ﷺ قد كان بالبادية[1].

قال الطبري: فإن قال قائل: وكيف قيل: ﴿وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا ﴾ وقد قيل في موضع آخر: ﴿كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَٰهُمْ سَعِيرًا ﴿٩٧﴾ ﴾ [الإسراء: ٩٧] ؟ قيل: معنى ذلك: ولا يخفف عنهم من هذا النوع من العذاب.

وقوله: ﴿كَذَٰلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ ﴾ يقول تعالى ذكره: هكذا يكافئ كل جحود لنعم ربه يوم القيامة؛ بأن يدخلهم نار جهنم بسيئاتهم التي قدموها في

---

(١) انظر مسلم (١٨٥).

الدنيا.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

لما ذكر تعالى حال السعداء، شرع في بيان مآل الأشقياء، فقال: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُواْ﴾، كما قال تعالى: ﴿لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿٧٤﴾﴾ [طه: ٧٤]. وثبت في صحيح مسلم: أن رسول الله ﷺ قال: «**أما أهل النار الذين هم أهلها، فلا يموتون فيها ولا يحيون**»[1]. قال الله تعالى: ﴿وَنَادَوْاْ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ ﴿٧٧﴾﴾ [الزخرف: ٧٧]. فهم في حالهم ذلك يرون موتهم راحة لهم، ولكن لا سبيل إلى ذلك، قال الله تعالى: ﴿لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُواْ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا﴾، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٥﴾﴾ [الزخرف: ٧٤، ٧٥]، وقال: ﴿كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَٰهُمْ سَعِيرًا ﴿٩٧﴾﴾ [الإسراء: ٩٧] ﴿فَذُوقُواْ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا﴾ [النبأ: ٣٠].

ثم قال: ﴿كَذَٰلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ﴾ أي: هذا جزاء كل من كفر بربه وكذب بالحق.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ فَذُوقُواْ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٣٧﴾﴾؟

ج: المعنى -والله تعالى أعلم-: وأهل النار يضجون فيها ويستغيثون بصوت عالٍ ويصيحون قائلين: يا ربنا أخرجنا من هذه النار نعمل عملًا

---

(١) انظر مسلم (١٨٥).

MOSTAFABAKR.COM

صالحًا غير الذي كنا نعمله من العمل السيئ، فلا يجابون إلى طلبهم بل يوبَّخون فيقال لهم: أولم نعمركم في الدنيا أعمارًا كانت كفيلة بأن يتعظ فيها من اتعظ، ويعتبر فيها من اعتبر؟! فلم تتعظوا ولم تعتبروا، وأرسلنا إليكم رسولنا يحذركم وينذركم فما سمعتم له ولا أطعتم فذوقوا النار جزاء تكذيبكم فما لأهل الشرك والظلم والكفر من نصير ينصرهم.

وبنحو ذلك قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ﴾ يقول تعالى ذكره: هؤلاء الكفار يستغيثون ويضجون في النار، يقولون: يا ربنا أخرجنا نعمل صالحًا أي: نعمل بطاعتك ﴿غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ﴾ قبلُ من معاصيك. وقولهُ: ﴿يَصْطَرِخُونَ﴾ يفتعلون من الصراخ؛ حولتْ تاؤها طاءً لقرب مخرجها من الصاد لما ثَقُلت.

ثم أورد جملة آثار وقال:

فتأويل الكلام إذن: أولم نعمركم يا معشر المشركين بالله من قريش من السنين، ما يتذكر فيه من تذكر، من ذوي الألباب والعقول، واتعظ منهم من اتعظ، وتاب من تاب، وجاءكم من الله منذر ينذركم ما أنتم فيه اليوم من عذاب الله، فلم تتذكروا مواعظ الله، ولم تقبلوا من نذير الله الذي جاءكم ما أتاكم به من عند ربكم.

ويقول تعالى ذكره: ﴿فَذُوقُواْ﴾ نار عذاب جهنم الذي قد صَلِيتموه أيها الكافرون بالله ﴿فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ﴾ يقول: فما للكافرين الذين ظلموا أنفسهم فأكسبوها غضب الله بكفرهم بالله في الدنيا من نصير ينصرهم من الله

MOSTAFAABW.COM

ليستنقذهم من عقابه.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا﴾ أي: ينادون فيها، يجأرون إلى الله ﷻ بأصواتهم: ﴿رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ﴾ أي: يسألون الرجعة إلى الدنيا؛ ليعملوا غير عملهم الأول، وقد علم الرب ﷻ أنه لو ردهم إلى الدار الدنيا، لعادوا لما نهوا عنه، وإنهم لكاذبون. فلهذا لا يجيبهم إلى سؤالهم، كما قال تعالى مخبرًا عنهم في قولهم: ﴿فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ ﴿١١﴾ ذَٰلِكُم بِأَنَّهُۥٓ إِذَا دُعِىَ ٱللَّهُ وَحْدَهُۥ كَفَرْتُمْ ۖ وَإِن يُشْرَكْ بِهِۦ تُؤْمِنُوا۟ ۚ﴾ [غافر: ١١، ١٢]، أي: لا يجيبكم إلى ذلك لأنكم كنتم كذلك، ولو رددتم لعدّتم إلى ما نهيتم عنه؛ ولهذا قال هاهنا: ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ﴾ أي: أوما عشتم في الدنيا أعمارًا لو كنتم ممن ينتفع بالحق لانتفعتم به في مدة عمركم؟

وقد اختلف المفسرون في مقدار العمر المراد هاهنا فروي عن علي بن الحسين زين العابدين أنه قال: مقدار سبع عشرة سنة.

وقال قتادة: اعلموا أن طول العمر حجة، فنعوذ بالله أن نُعَيَّر بطول العمر، قد نزلت هذه الآية: ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ﴾، وإن فيهم لابن ثماني عشرة سنة.

ثم قال بعد أن أورد جملة من الأحاديث والآثار:

وكذا بعد أن أورد قولين في تأويل قوله تعالى: ﴿وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ﴾: أحدهما أن النذير هو الشيب، والثاني: أن النذير الرسول محمد ﷺ.

وصوب هذا الثاني بقوله:

MostafaAdaw.com

وهذا اختيار ابن جرير، وهو الأظهر؛ لقوله تعالى: ﴿وَنَادَوْا۟ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ۖ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ ﴿٧٧﴾ لَقَدْ جِئْنَٰكُم بِٱلْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ ﴿٧٨﴾﴾ [الزخرف: ٧٧، ٧٨]، أي: لقد بينا لكم الحق على ألسنة الرسل، فأبيتم وخالفتم، وقال تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾﴾ [الإسراء: ١٥]، وقال تبارك وتعالى: ﴿كُلَّمَآ أُلْقِىَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴿٨﴾ قَالُوا۟ بَلَىٰ قَدْ جَآءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ كَبِيرٍ ﴿٩﴾﴾ [الملك: ٨، ٩].

وقوله: ﴿فَذُوقُوا۟ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ﴾ أي: فذوقوا عذابَ النار جزاءً على مخالفتكم للأنبياء في مدة أعماركم، فما لكم اليوم ناصر ينقذكم مما أنتم فيه من العذاب والنكال والأغلال.

❁ ❁ ❁

س: ما المراد بالنذير في قوله تعالى: ﴿وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ﴾؟

ج: للعلماء فيه قولان:

أحدهما: أن النذير هو الشيب الذي يعتري الرأس.

الثاني: وعليه الأكثرون أن النذير هو رسول الله محمد ﷺ، وهذا الأظهر وعليه الأكثر.

قال تعالى لنبيه محمد ﷺ: ﴿إِنَّمَآ أَنتَ نَذِيرٌ﴾ [هود: ١٢]. والله أعلم.

❁ ❁ ❁

س: ما العمر الذي قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ﴾؟

ج: لأهل العلم فيه أقوال:

أحدهما: أنه أربعون سنة، وذلك لقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ

Mostafa Dawood.com

سَنَةَ قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِيٓ إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٥﴾ ﴾ [الأحقاف: ١٥].

الثاني: أنه ستون سنة (وعليه أكثر العلماء)، وقد روي هذا، وذاك (أربعون وستون) عن ابن عباس رضي الله عنهما بإسناد فيه عبد الله بن عثمان بن خثيم وهو صدوق، ويبدو أنه يُحسن حديثه ما لم يخالف لكن هنا رواه مرة بلفظ ستين، ومرة بلفظ أربعين فالله أعلم.

وقد جنح الحافظ ابن كثير إلى القول بأنه ستين سنة محتجًّا بأحاديث منها ما أخرجه البخاري رحمه الله والإمام أحمد رحمه الله من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**أعذر الله عز وجل إلى امرئ أخَّر عمره حتى بلغه ستين سنة**»[(١)].

وهذا أخرجه البخاري من طريق معن بن محمد الغفاري عن سعيد المقبري عن أبي هريرة قال: .. فذكره.

أما رواية أحمد من طريق رجل من بني غفار عن سعيد المقبري، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ أنه قال: «**لقد أعذر الله إلى عبد أحياه حتى بلغ ستين أو سبعين سنة، لقد أعذر الله إليه لقد أعذر الله إليه**».

وهناك وجوه أخر للاختلاف في سند هذا الحديث.

وأورد ابن كثير - رحمه الله تعالى - بإسناد حسن[(٢)] عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «**أعمار أمتي ما بين الستين إلى السبعين، وأقلهم من يجوز**

---

(١) البخاري (٦٤١٩)، وأحمد (٢/٢٧٥) وغيرهما، قلت (مصطفى): وفي إسناد هذا الحديث بعض الاختلاف.

(٢) وفيه بعض الكلام كذلك، وقد أخرجه الترمذي (٣٥٥٠)، وابن ماجه (٤٢٣٦)، والسياق المذكور عزاه ابن كثير للحسن بن عرفة.

Mostafalaw.com

ذلك».

وفيه كلام أيضًا، ولكن له بعض الشواهد قد يصحح بها فالله أعلم.

قلت (مصطفى): وعلى كلٍّ فالذي يظهر لي كتفسير لقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ﴾ أن المراد به: أولم نعيشكم في الحياة زمنًا يحدث به التذكر والاتعاظ والاعتبار، وليس بلازم أن يكون أربعين سنة أو ستين سنة؛ لأن من الكفار من يموت وهو في العشرين، ومنهم من يموت دون ذلك والله أعلم.

أما الذي أحياه الله إلى ستين سنة، فقد أعذر الله إليه كما في الحديث ولا تعارض. والله أعلم.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَٰلِمُ غَيْبِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٣٨﴾﴾؟

ج: قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ في معناها:

وقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَٰلِمُ غَيْبِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ﴾ يقول تعالى ذكره: إن الله عالم ما تخفون أيها الناس في أنفسكم وتضمرونه، وما لم تضمروه ولم تنووه مما ستنوونه، وما هو غائب عن أبصاركم في السماوات والأرض، فاتقوه أن يطلع عليكم، وأنتم تضمرون في أنفسكم من الشك في وحدانية الله أو في نبوة محمد، غير الذي تبدونه بألسنتكم، ﴿إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يخبر تعالى بعلمه غيب السموات والأرض، وأنه يعلم ما تكنه السرائر وتنطوي عليه الضمائر، وسيجازي كل عامل بعمله.

MOSTAFAALDEW.COM

(٦١٩) أحمر أسود

❁ ❁ ❁

MOSTAFAALADWY.COM

قال الله تعالى:

﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ فَمَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ ۖ وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًا ۖ وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا ﴿٣٩﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ شُرَكَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ كِتَٰبًا فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَتٍ مِّنْهُ ۚ بَلْ إِن يَعِدُ ٱلظَّٰلِمُونَ بَعْضُهُم بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا ﴿٤٠﴾ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا ۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤١﴾ وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِن جَآءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى ٱلْأُمَمِ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤٢﴾ ٱسْتِكْبَارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَكْرَ ٱلسَّيِّئِ ۚ وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ ۚ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلْأَوَّلِينَ ۚ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا ﴿٤٣﴾ أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَكَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَىْءٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا ﴿٤٤﴾ وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُوا۟ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِۦ بَصِيرًا ﴿٤٥﴾ ﴾ [فاطر: ٣٩-٤٥]

Mostafa-Adly.com

س: وضح معنى ما يلي:

﴿خَلَٰٓئِفَ - مَقۡتًا - خَسَارٗا - شُرَكَآءَكُمۡ - تَدۡعُونَ - شِرۡكٞ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ -عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّنۡهُ - غُرُورًا - تَزُولَآ -جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ - أَهۡدَىٰ مِنۡ إِحۡدَى ٱلۡأُمَمِۖ -نُفُورًا -ٱسۡتِكۡبَارٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ - وَمَكۡرَ ٱلسَّيِّئُۚ -يَحِيقُ -يَنظُرُونَ -سُنَّتَ ٱلۡأَوَّلِينَ -تَبۡدِيلٗا -تَحۡوِيلًا -لِيُعۡجِزَهُۥ﴾؟

ج:

الكلمة	معناها
﴿خَلَٰٓئِفَ﴾	قومٌ يأتون بعد قوم آخرين (جيل بعد جيل، وأمة بعد أمة، وقرن بعد قرن)
﴿مَقۡتًا﴾	بغضًا (والمقت أشد البغض) بُعدًا عن الرحمة غضبًا عليهم
﴿خَسَارٗا﴾	هلاكًا
﴿شُرَكَآءَكُمۡ﴾	آلهتكم التي جعلتموها شريكةً لله ﷻ
﴿تَدۡعُونَ﴾	تعبدون – تسألون وترجون
﴿شِرۡكٞ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾	مشاركة مع الله في خلق السموات أو في شيء مما في السموات
﴿عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّنۡهُ﴾	على بصيرة منه – على أمرٍ منه
﴿غُرُورًا﴾	خداعًا – غشًّا وتضليلًا
﴿تَزُولَآ﴾	تنتقلا عن أماكنهما

Mostafalabib.com

﴿جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ﴾	مجتهدين في الأيمان – يقسمون أشد القسم ويؤكدون اليمين أشد التأكيد ويوثقونها أشد التوثيق
﴿أَهۡدَىٰ مِنۡ إِحۡدَى ٱلۡأُمَمِۖ﴾	أوفق – أكثر توفيقًا ورشادًا واتباعًا للطريق المستقيم من إحدى الأمم التي مضت (قيل اليهود أو النصارى)
﴿نُفُورًا﴾	ابتعادًا وهربًا
﴿ٱسۡتِكۡبَارًا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾	تعاليًا على الحق وبطرًا له امتناعًا بكبرٍ عن اتباع آيات الله
﴿وَمَكۡرَ ٱلسَّيِّئِۚ﴾	المكر السيئ وهو الشرك وتضليل العباد وصرفهم عن الإيمان إلى الكفر
﴿يَحِيقُ﴾	ينزل – يحلُّ
﴿يَنظُرُونَ﴾	ينتظرون
﴿سُنَّتَ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾	طريقة الله في عقاب الأولين – طريقته في المكذبين وهي تعذيبهم والانتقام منهم
﴿تَبۡدِيلًا﴾	تغييرًا
﴿تَحۡوِيلًا﴾	صرفًا ودفعًا
﴿لِيُعۡجِزَهُۥ﴾	يعجز عن إدراكه، ليهرب منه شيء فيعجز عن إدراكه– ليفوته ولا يستطيع اللحاق به

❁ ❁ ❁

س: ما المراد بقوله: ﴿خَلَٰٓئِفَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ﴾ يخلفون من؟

ج: المراد –والله أعلم–: خلائف لقوم آخرين قد سبقوا ومضوا وهلكوا،

MOSTAFALAWY.COM

قيل: خلائف لقوم عادٍ وثمود، وكما قال تعالى: ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَٰكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ مِنۢ بَعْدِهِمْ لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ [يونس: ١٤].

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: الله الذي جعلكم أيها الناس خلائف في الأرض من بعد عاد وثمود، ومن مضى من قبلكم من الأمم فجعلكم تخلفونهم في ديارهم ومساكنهم.

وأورد عن قتادة بإسناد حسن قال: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ﴾ أمةً بعد أمةٍ وقرنًا بعد قرن.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿مَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ﴾؟

ج: المعنى – والله تعالى أعلم –: فمن كفر منكم فإثم كفره وجزاؤه عائدٌ عليه، ووبال كفره عائدٌ على نفسه دون غيره؛ إذ هو المعاقب عليه دون غيره، ولن يضر بكفره إلا نفسه.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًا ۖ وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا ﴿٣٩﴾ ﴾؟

ج: المعنى – والله أعلم –: أن استمرار الكافر على كفره يومًا بعد يوم يزيده بغضًا من الله وبُعدًا عن رحمة الله.

وكذا لا يزيده إلا هلاكًا يوم القيامة وخسارة لنفسه وعذابًا. وبنحوه قال أهل العلم.

MOSTAFAALWY.COM

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقوله: ﴿وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًا﴾ يقول تعالى: ولا يزيد الكافرين كفرهم عند ربهم إلا بعدًا من رحمة الله ﴿وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا﴾ يقول: ولا يزيد الكافرين كفرهم بالله إلا هلاكًا.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

﴿وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًا﴾ أي: كلما استمروا على كفرهم أبغضهم الله، وكلما استمروا فيه خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة، بخلاف المؤمنين فإنهم كلما طال عمر أحدهم وحَسُن عمله، ارتفعت درجته ومنزلته في الجنة، وزاد أجره وأحبه خالقه وبارؤه رب العالمين.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ شُرَكَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ كِتَٰبًا فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَتٍ مِّنْهُ ۚ بَلْ إِن يَعِدُ ٱلظَّٰلِمُونَ بَعْضُهُم بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا ﴿٤٠﴾﴾؟

ج: المعنى – والله أعلم –: قل يا رسول الله لهؤلاء المشركين الذين عبدوا مع الله آلهة أُخرى، قل لهم أرأيتم أوثانكم هذه التي جعلتموها شريكة لله ودعوتموها من دون الله انظروا إليها وفكِّروا واعتبروا، هل خلقت شيئًا في الأرض، أم هل هي شريكة لله في سمواته، سلهم يا رسول الله عن ذلك فلن يجدوا جوابًا.

كذا سلهم هل أنزل الله إليهم كتابًا من عنده يأمرهم بالشرك بالله فهم لهذا الكتاب متبعون وبه مقتدون، كلا بل هي أماني كاذبة وغشٌّ وخداع يخدع به المستكبرون أهل الاستضعاف ويغشونهم، وكذا يخدع أهل الظلم عمومًا

mostafawy.com

بعضهم بعضًا، يقولون: ستشفع لكم تلك الأصنام إذا عبدتموها.

يقولون: إنها تقربكم من الله زلفى!

هكذا يخدع بعضهم بعضًا.

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: ﴿قُلْ﴾ يا محمد لمشركي قومك ﴿أَرَءَيْتُم﴾ أيها القوم ﴿شُرَكَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ﴾ يقول: أروني أي شيء خلقوا من الأرض ﴿أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ يقول: أم لشركائكم شرك مع الله في السماوات إن لم يكونوا خلقوا من الأرض شيئًا ﴿أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ كِتَٰبًا فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَتٍ مِّنْهُ﴾ يقول: أم آتينا هؤلاء المشركين كتابًا أنزلناه عليهم من السماء بأن يشركوا بالله الأوثان والأصنام، فهم على بينة منه، فهم على برهان مما أمرتهم فيه من الإشراك بي.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة قال: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُم شُرَكَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ﴾ لا شيء والله خلقوا منها ﴿أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ لا والله ما لهم فيها شرك ﴿أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ كِتَٰبًا فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَتٍ مِّنْهُ﴾ يقول: أم آتيناهم كتابًا فهو يأمرهم أن يشركوا.

وقوله: ﴿بَلْ إِن يَعِدُ ٱلظَّٰلِمُونَ بَعْضُهُم بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا﴾ وذلك قول بعضهم لبعض: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزمر: ٣] خداعًا من بعضهم لبعض وغرورًا، وإنما تزلفهم آلهتهم من النار، وتقصيهم من الله ورحمته.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

Mostafa-Adly.com

يقول تعالى لرسوله ﷺ أن يقول للمشركين: ﴿أَرَءَيْتُمْ شُرَكَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي: من الأصنام والأنداد، ﴿أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ أي: ليس لهم شيء من ذلك، ما يملكون من قطمير.

وقوله: ﴿أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ كِتَٰبًا فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَتٍ مِّنْهُ﴾ أي: أم أنزلنا عليهم كتابًا بما يقولونه من الشرك والكفر؟ ليس الأمر كذلك، ﴿بَلْ إِن يَعِدُ ٱلظَّٰلِمُونَ بَعْضُهُم بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا﴾ أي: بل إنما اتبعوا في ذلك أهواءهم وآراءهم وأمانيهم التي تمنوها لأنفسهم، وهي غرور وباطل وزور.

❁ ❁ ❁

لا يسقط نجم على نجم إلا بإذن الله

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا ۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤١﴾﴾.

ج: المعنى –والله تعالى أعلم–: إن الله ﷻ يمسك السموات والأرض ويحفظهما من أن تنتقلا عن أماكنهما ولئن قدَّر عليهما فانتقلتا عن أماكنهما فلن يستطيع أحدٌ أن يمنعهما ولن يستطيع أحدٌ أن يمسكهما ﴿إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا﴾ بعباده إذ لم يعاجلهم بالعقوبة على كفرهم ﴿غَفُورًا﴾ كثير المغفرة لمن تاب إليه وأناب.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ لئلا تزولا من أماكنهما ﴿وَلَئِن زَالَتَآ﴾ يقول: ولو زالتا ﴿إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ﴾ يقول: ما أمسكهما أحد سواه. ووضعت «لئن» في قوله: ﴿وَلَئِن زَالَتَآ﴾ في موضع «لو» لأنهما يجابان بجواب واحد، فيتشابهان في المعنى، ونظير ذلك قوله: ﴿وَلَئِنْ

Mostafa Abbar.com

أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَّظَلُّوا مِنۢ بَعْدِهِۦ يَكْفُرُونَ ﴿٥١﴾ ﴾ [الروم: ٥١] بمعنى: ولو أرسلنا ريحًا، وكما قال: ﴿ وَلَئِنْ أَتَيْتَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ [البقرة: ١٤٥] بمعنى: لو أتيت. وقد بيَّنا ذلك فيما مضى بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع.

وأورد الطبري بإسناد صحيح عن أبي وائل: قال: جاء رجل إلى عبد الله فقال: من أين جئت ؟ قال: من الشأم. قال: من لَقيتَ؟ قال: لقيتُ كعبًا. فقال: ما حدثك كعب ؟ قال: حدثني أن السماوات تدور على منكب ملك. قال: فصدقته أو كذبته ؟ قال: ما صدقته ولا كذبته. قال: لوددت أنك افتديت من رحلتك إليه براحلتك ورحلها، وكذب كعب، إن الله يقول: ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا ۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ ﴾.

وقوله: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾ يقول تعالى ذكره: إن الله كان حليمًا عمن أشرك وكفر به من خلقه في تركه تعجيل عذابه له، غفورًا لذنوب من تاب منهم، وأناب إلى الإيمان به، والعمل بما يرضيه.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ثم أخبر تعالى عن قدرته العظيمة التي بها تقوم السماء والأرض عن أمره، وما جعل فيهما من القوة الماسكة لهما، فقال: ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا ۚ ﴾ أي: أن تضطربا عن أماكنهما، كما قال: ﴿وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ ﴾ [الحج: ٦٥] ، وقال تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ ﴾ [الروم: ٢٥] ﴿وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ ﴾ أي: لا يقدر على دوامهما وإبقائهما إلا هو، وهو مع ذلك حليم غفور، أي: يرى عباده وهم يكفرون به ويعصونه، وهو يحلم فيؤخر وينظر ويؤجل ولا يَعْجَل، ويستر

آخرين ويغفر؛ ولهذا قال: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾.

❁ ❁ ❁

MOSTAFAALADWY.COM

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤٢﴾﴾؟

ج: المعنى – والله أعلم–: أن مشركي مكة، كانوا قبل مبعث النبي ﷺ يقسمون ويجتهدون في الأيمان، ويغلظونها أشد التغليظ أن لو جاءهم نذير من عند الله (يعنون رسولًا من عند الله،وكتابًا من عند الله) ليكونن أفضل وأحسن حظًّا وأحسن استقامة ورشادًا من اليهود ومن النصارى كما في قوله تعالى: ﴿أَن تَقُولُوا إِنَّمَا أُنزِلَ الْكِتَابُ عَلَىٰ طَائِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا وَإِن كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمْ لَغَافِلِينَ ﴿١٥٦﴾ أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْكِتَابُ لَكُنَّا أَهْدَىٰ مِنْهُمْ﴾ [الأنعام: ١٥٦-١٥٧]، يقول تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا﴾.

أي: فلما جاءهم النذير من عند الله، وهو رسول الله محمد ﷺ، ما زادهم مجيؤه إلا بعدًا وهربًا ونفورًا.

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: وأقسم هؤلاء المشركون بالله جهد أيمانهم، يقول: أشد الإيمان فبالغوا فيها، لئن جاءهم من الله منذر ينذرهم بأس الله ﴿لَيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ﴾ يقول: ليكونن أسلك لطريق الحق وأشد قبولا لما يأتيهم به النذير من عند الله، من إحدى الأمم التي خلت من قبلهم ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ﴾ يعني بالنذير محمد ﷺ، يقول: فلما جاءهم محمد ينذرهم عقاب الله على كفرهم.

وأورد بإسناد حسن عن قتادة قوله: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ﴾ وهو محمد ﷺ.

وقوله: ﴿مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا﴾ يقول: ما زادهم مجيء النذير من الإيمان بالله

Mostafalabib.com

واتباع الحق وسلوك هدى الطريق، إلا نفورًا وهربًا.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يخبر تعالى عن قريش والعرب أنهم أقسموا بالله جهد أيمانهم، قبل إرسال الرسول إليهم: ﴿لَئِن جَآءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى ٱلْأُمَمِ﴾ أي: من جميع الأمم الذين أرسل إليهم الرسل. قاله الضحاك وغيره، كقوله تعالى: ﴿أَن تَقُولُوٓاْ إِنَّمَآ أُنزِلَ ٱلْكِتَٰبُ عَلَىٰ طَآئِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا وَإِن كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمْ لَغَٰفِلِينَ ﴿١٥٦﴾ أَوْ تَقُولُواْ لَوْ أَنَّآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْكِتَٰبُ لَكُنَّآ أَهْدَىٰ مِنْهُمْ ۚ فَقَدْ جَآءَكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ ۚ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا ۗ﴾ [الأنعام: ١٥٦، ١٥٧]، وكقوله تعالى: ﴿وَإِن كَانُواْ لَيَقُولُونَ ﴿١٦٧﴾ لَوْ أَنَّ عِندَنَا ذِكْرًا مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٦٨﴾ لَكُنَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿١٦٩﴾ فَكَفَرُواْ بِهِۦ ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿١٧٠﴾﴾ [الصافات: ١٦٧-١٧٠]

قال الله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُمْ نَذِيرٌ﴾ -وهو: محمد ﷺ- بما أنزل معه من الكتاب العظيم، وهو القرآن المبين، ﴿مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا﴾، أي: ما ازدادوا إلا كفرًا إلى كفرهم.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِن جَآءَهُمْ نَذِيرٌ﴾ هم قريش أقسموا قبل أن يبعث الله رسوله محمدًا ﷺ حين بلغهم أن أهل الكتاب كذبوا رسلهم فلعنوا من كذب نبيه منهم وأقسموا بالله جل اسمه ﴿لَئِن جَآءَهُمْ نَذِيرٌ﴾ أي نبي ﴿لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى ٱلْأُمَمِ﴾ يعني ممن كذب الرسل من أهل الكتاب وكانت العرب تتمنى أن يكون منهم رسول كما كانت الرسل من بني إسرائيل فلما جاءهم ما تمنوه وهو النذير من أنفسهم نفروا عنه ولم يؤمنوا به.

MOSTAFAADAWY.COM

(٦٣١) أحمر أسود

MOSTAFAALADWY.COM

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ٱسۡتِكۡبَارٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَكۡرَ ٱلسَّيِّئِۚ وَلَا يَحِيقُ ٱلۡمَكۡرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهۡلِهِۦۚ فَهَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلۡأَوَّلِينَۚ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗاۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحۡوِيلًا ٤٣﴾.

ج: المعنى –والله تعالى أعلم –: أن أهل الشرك لما جاءهم نذير نفروا أشد النفور وامتنعوا عن الإيمان أشد الامتناع كبرًا وتعاليًا على الحق، فـ(**الكبر بطر الحق وغمط الناس**) كما قال النبي ﷺ فنفروا كبرًا وتعاليًا وجحدًا له، ومكروا المكر السيئ، واقترفوا السوء وأضلُّوا العباد فأشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانًا وسعوا في غش العباد وتضليلهم، ولا يحيق المكر السيئ إلا بأهله، أي ولا يحل إثم المكر السيئ إلا بأهله، فهذا المكر الذي مكروه بشركهم، وتضليلهم العباد، عقوبته حالة بهم نازلة بهم.

فماذا عساهم أن ينتظروا حتى يؤمنوا؟

هل ينتظرون إلا مثل ما حلَّ بالأولين الذين سبقوهم من العقوبات، فعندها لن ينتفعوا بإيمان إن هم آمنوا، وسيحل بهم نحو من الذي حلَّ بمن كانوا قبلهم، فلن تجد لسنة الله تغييرًا، ولن تجد لعذاب الله تحويلًا.

فلن تتغير سنة الله وطريقته في أهل الظلم فإنه ﷻ يهلكهم ويعاقبهم، وإن تنوعت صور العقوبات.

ولن تجد أحدًا يستطيع أن يحول عنهم العذاب إذا نزل بهم وبنحو هذا قال العلماء.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿ٱسۡتِكۡبَارٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ يقول: نفروا استكبارًا في الأرض وخدعة سيئة، وذلك أنهم صدوا الضعفاء عن اتباعه مع كفرهم به. والمكر هاهنا: هو الشرك.

nosrfan.blogspot.com

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة: ﴿وَمَكْرَ ٱلسَّيِّئِۚ﴾ وهو الشرك.

قال الطبري: وأضيف المكر إلى السيئ، والسيئ من نعت المكر كما قيل: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ ﴿٩٥﴾﴾ [الواقعة: ٩٥].

ثم قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦۚ﴾ يقول: ولا ينزل المكر السيئ إلا بأهله، يعني بالذين يمكرونه، وإنما عني أنه لا يحل مكروه ذلك المكر الذي مكره هؤلاء المشركون إلا بهم.

وقوله: ﴿فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلْأَوَّلِينَۚ﴾ يقول تعالى ذكره: فهل ينتظر هؤلاء المشركون من قومك يا محمد إلا سنة الله بهم في عاجل الدنيا على كفرهم به أليم العقاب، يقول: فهل ينتظر هؤلاء إلا أن أحل بهم من نقمتي على شركهم بي وتكذيبهم رسولي مثل الذي أحللت بمن قبلهم من أشكالهم من الأمم.

وأورد بإسناد حسن عن قتادة قوله: ﴿فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلْأَوَّلِينَۚ﴾ أي: عقوبة الأولين ﴿فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًاۖ﴾ يقول: فلن تجد يا محمد لسنة الله تغييرًا.

وقوله: ﴿وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا﴾ يقول: ولن تجد لسنة الله في خلقه تبديلًا يقول: لن يغير ذلك ولا يبدله؛ لأنه لا مرد لقضائه.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ثم بيَّن ذلك بقوله: ﴿ٱسْتِكْبَارًا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أي: استكبروا عن اتباع آيات الله، ﴿وَمَكْرَ ٱلسَّيِّئِۚ﴾ أي: ومكروا بالناس في صدِّهم إياهم عن سبيل الله، ﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦۚ﴾ أي: وما يعود وبال ذلك إلا عليهم أنفسهم دون غيرهم.

وقوله: ﴿فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلْأَوَّلِينَۚ﴾ يعني: عقوبة الله لهم على تكذيبهم

Mostafa-adly.com

رسله ومخالفتهم أمره، ﴿فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗاۖ﴾ أي: لا تغير ولا تبدل، بل هي جارية كذلك في كل مكذب، ﴿وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحۡوِيلٗا﴾ أي: ﴿وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ سُوٓءٗا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥۚ﴾ [الرعد: ١١]، ولا يكشف ذلك عنهم، ويحوله عنهم أحد.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿فَهَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلۡأَوَّلِينَۚ﴾ أي إنما ينتظرون العذاب الذي نزل بالكفار الأولين ﴿فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗاۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحۡوِيلٗا﴾ أي: أجرى الله العذاب على الكفار ويجعل ذلك سنة فيهم فهو يعذب بمثله من استحقه لا يقدر أحد أن يبدل ذلك ولا أن يحول العذاب عن نفسه إلى غيره والسنة الطريقة والجمع سنن وقد مضى في (آل عمران) وأضافها إلى الله عز و جل وقال في موضع آخر: ﴿سُنَّةَ مَن قَدۡ أَرۡسَلۡنَا قَبۡلَكَ مِن رُّسُلِنَاۖ﴾[الإسراء: ٧٧] فأضاف إلى القوم لتعلق الأمر بالجانبين وهو كالأجل تارة يضاف إلى الله وتارة إلى القوم، قال الله تعالى: ﴿فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَأٓتٖۚ﴾ [العنكبوت: ٥] وقال: ﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمۡ﴾ [النحل: ٦١].

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿أَوَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَكَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنۡهُمۡ قُوَّةٗۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعۡجِزَهُۥ مِن شَيۡءٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمٗا قَدِيرٗا ٤٤﴾؟

ج: المعنى – والله تعالى أعلم –: قل يا رسول الله لهؤلاء القوم المكذبين سيروا في الأرض فانظروا إلى آثار الذين كذبوا من قبلكم، فقد كانوا أكثر منكم قوة وأشد منكم بطشًا، ثم ها هي بيوتهم خاوية لم تسكن من بعدهم إلا قليلًا،

MOSTAFAWY.COM

انظروا كيف أن الله ﷻ انتقم منهم وشتت شملهم وفرَّق جمعهم وأبادهم وأفناهم، وما كان منهم من أحد يستطيع الفرار من قدر الله ولا من أمر الله ولا من عقاب الله، وما كان من شيء يعجز الله ويفوته هربًا وفرارًا، فلا ملك، ولا إنس ولا جن، ولا دابة ولا طائر ولا يحتان، ولا أي شيء يستطيع أن يهرب من الله ﷻ ويُعجز الله ﷻ بل الله ﷻ عليم بكل شيء، قديرٌ على كل شيء، وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: أولم يَسِرْ يا محمد هؤلاء المشركون بالله في الأرض التي أهلكنا أهلها بكفرهم بنا وتكذيبهم رسلنا فإنهم تجار يسلكون طريق الشأم ﴿فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ من الأمم التي كانوا يمرون بها، ألم نهلكهم ونخرب مساكنهم ونجعلهم مثلاً لمن بعدهم، فيتعظوا بهم وينزجروا عمَّا هم عليه من عبادة الآلهة بالشرك بالله، ويعلموا أن الذي فعل بأولئك ما فعل ﴿وَكَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾ لن يتعذر عليه أن يفعل بهم مثل الذي فعل بأولئك من تعجيل النقمة والعذاب لهم.

وقوله: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَىْءٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ يقول تعالى ذكره: ولن يعجزنا هؤلاء المشركون بالله من عبدة الآلهة المكذبون محمدًا، فيسبقونا هربًا في الأرض إذا نحن أردنا هلاكهم؛ لأن الله لم يكن ليعجزه شيء يريده في السماوات ولا في الأرض، ولن يقدر هؤلاء المشركون أن ينفذوا من أقطار السماوات والأرض.

وقوله: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا﴾ يقول تعالى ذكره: إن الله كان عليمًا بخلقه،

MOSTAFAWY.COM

وما هو كائن، ومن هو المستحق منهم تعجيل العقوبة، ومن هو عن ضلالته منهم راجع إلى الهدى آيب، قديرا على الانتقام ممن شاء منهم، وتوفيق من أراد منهم للإيمان.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى: قل يا محمد لهؤلاء المكذبين بما جئتهم به من الرسالة: سيروا في الأرض، فانظروا كيف كان عاقبة الذين كذبوا الرسل؟ كيف دمر الله عليهم وللكافرين أمثالها، فَخُلِيَتْ منهم منازلهم، وسلبوا ما كانوا فيه من النَّعَم بعد كمال القوة، وكثرة العدد والعُدَد، وكثرة الأموال والأولاد، فما أغنى ذلك شيئًا، ولا دفع عنهم من عذاب الله من شيء، لما جاء أمر ربك؛ لأنه تعالى لا يعجزه شيء، إذا أراد كونه في السموات والأرض ﴿إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا﴾ أي: عليم بجميع الكائنات، قدير على مجموعها.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

بين السنة التي ذكرها أي: أولم يروا ما أنزلنا بعاد وثمود وبمدين وأمثالهم لما كذبوا الرسل فتدبروا ذلك بنظرهم إلى مساكنهم ودورهم وبما سمعوا على التواتر بما حلَّ بهم أفليس فيه عِبرة وبيان لهم ليسوا خيرًا من أولئك ولا أقوى بل كان أولئك أقوى دليله قوله: ﴿وَكَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَىْءٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ﴾ أي: إذا أراد إنزال عذاب بقوم لم يعجزه ذلك ﴿إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا﴾.

❁ ❁ ❁

mostafaabdy.com

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُوا۟ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِۦ بَصِيرًۢا ﴿٤٥﴾﴾؟

ج: المعنى –والله تعالى أعلم –: ولو يؤاخذ الله ﷻ الناس بما اقترفوه من الذنوب والآثام ما ترك على ظهر الأرض من دابة تدبُّ عليها من إنس ولا جنٌّ، ولا أنعام ولا أي شيء يدبُّ على الأرض، ولكن يؤخر عقابهم إلى أجل قد سماه الله وعيَّن وحدده، وهو يوم القيامة، وقيل: إلى يوم مماتهم، فإذا جاء الأجل الذي حدَّده الله فالله ﷻ كان ولا يزال بصيرًا بعباده، وبصيرًا بأعمالهم، لا يخفى عليه شيء من أمرهم، وسيجازيهم على ما اقترفوه واكتسبوه، وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ﴾ يقول: ولو يعاقب الله الناس ويكافئهم بما عملوا من الذنوب والمعاصي واجترحوا من الآثام ما ترك على ظهرها من دابة تدب عليها ﴿وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ يقول: ولكن يؤخر عقابهم ومؤاخذتهم بما كسبوا إلى أجل معلوم عنده، محدود لا يقصرون دونه، ولا يجاوزونه إذا بلغوه.

وأورد بإسناد حسن عن قتادة: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُوا۟ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ﴾ إلا ما حمل نوح في السفينة.

وقوله: ﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِۦ بَصِيرًۢا﴾ يقول تعالى ذكره: فإذا جاء أجل عقابهم فإن الله كان بعباده بصيرًا من الذي يستحق أن يعاقب

MOSTAFALADAWY.COM

منهم، ومن الذي يستوجب الكرامة ومن الذي كان منهم في الدنيا له مطيعًا، ومن كان فيها به مشركًا، لا يخفى عليه أحد منهم، ولا يعزب عنه علم شيء من أمرهم.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ثم قال تعالى: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُوا۟ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ﴾ أي: لو آخذهم بجميع ذنوبهم، لأهلك جميع أهل الأرض، وما يملكونه من دواب وأرزاق.

قال ابن أبي حاتم: حدثنا أحمد بن سِنان، حدثنا عبد الرحمن، حدثنا سفيان الثوري، عن أبي إسحاق، عن أبي الأحوص، عن عبد الله قال: كاد الجَعْلُ أن يعذب في جُحْره بذنب ابن آدم، ثم قرأ: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُوا۟ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ﴾[1].

وقال سعيد بن جُبَيْر، والسُّدِّيّ في قوله: ﴿مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ﴾ أي: لما سقاهم المطر، فماتت جميع الدواب.

﴿وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ أي: ولكن يُنْظرهُم إلى يوم القيامة، فيحاسبهم يومئذٍ، ويوفي كلَّ عامل بعمله، فيجازي بالثواب أهلَ الطاعة، وبالعقاب أهل المعصية؛ ولهذا قال تعالى: ﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِۦ بَصِيرًۢا﴾.

❁ ❁ ❁

س: هل يستفاد من الآية الكريمة أن الله عَزَّوَجَلَّ لو آخذ كل شخص بذنوبه لأهلكه؟

---

(١) وهذا صحيح عن ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

ج: الظاهر – والله أعلم –: أن الله ﷻ لو آخذ الناس ومن على الأرض بذنوب بعضهم لكانت ذنوب بعضهم كفيلة بإهلاك كل من على الأرض، أما هل لو آخذ الله كل شخص بذنبه لأهلكه؟ فهذا يعكر عليه أن الأنبياء وأهل الصلاح حسناتهم تزيد على سيئاتهم، والله أعلم.

تم بحمد الله

تفسير سورة فاطر

MOSTAFAALADWY.COM